المقالة النقدية الأدبية الثالثة

الفيلسوف والشاعر

بقلم: جون ليبيس

المقالة النقدية الأدبية الثالثة:

الفيلسوف والشاعر بقلم:جون ليبيس

يقصد الناقد جون ليبيس بعنوان المقال الرسائل المتبادلة بين غاستون باشلار وشاعر الريح لوي غيوم، محاولا إقحامنا في بعض مقاطع هذه الوثائق الثمينة، حيث يسترجع خلالها باشلار مسيرته الفلسفية الطويلة.

مؤكدا ليبيس على أن من الخاطئ الإعتقاد أن هذه الرسائل تقوم على منطق شخصي وحكائي جدا، فهي تحمل قيمة مثيرة للفترة المبدعة الأخيرة من حياة الفيلسوف الفذ غاستون باشلار.

وذلك على الرغم من أن تبادل الرسائل يقوم على مثيرات ظرفية وذاتية أكثر تتكيف مع شخصية المرسل إليه، من خلال صيغ اللباقة واصطلاحات معينة، إلا أننا لا نستصغر قيمة الخلاصات ضمن رسائل غاستون باشلار، التي عززت ما سبق في بعض المؤلفات، أو كشفت غموضا أو لبسا ضمنها.

ومن بين الآراء النقدية الأدبية التي احتوى عليها مقال ليبيس:

1- فكر غاستون باشلار:

يمكن القول أن "الفكر الباشلاري، تموضع في خط تصاعدي"[1]، على الرغم من أن بعض المفسرين يحصرونه في نوع من اللازمانية القطعية، ويقاربونه وفق أهوائهم، "ويتفقون على أن فكر باشلار يتوقف عن السير كنجم، يعود إلى ذاته ويستعيد بلا توقف هواجس قديمة"[2].

[1] مجلة فكر ونقد: مقال: باشلار بين التحليل النفسي والمنهج الظاهراتي، ع21، سبتمبر1999.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص55.

وهم بذلك يخفون ما هو رئيسي، كون فكر باشلار تطوري أيضا، يتغذى بامتياز من المراجع الأدبية، حيث بدأ في التحليل النفسي للنار كفاحص للوثائق، يتكلم بمرجعيات وبراهين. ثم انتهى في شعلة قنديل إلى شخصية حالمة بالنصوص، حيث "تصبح المسافة بين الذات والموضوع واهية إن لم تكن منعدمة"[1].

وبكلمة أخرى فإن" باشلار كان ينصرف عن فلسفة العلم إلى فلسفة الفن وعلم الجمال"[2].

2- الشعراء والفلاسفة:

حاول غاستون باشلار حسب ليبيس تنبيه الفلاسفة لقراءة الشعر،(آه، كم يتثقف الفلاسفة إذا هم أقبلوا بقراءة الشعر)، مذكرا أن الإحتفاء بالشعر يعتلي إلى حد تكسير الحدود بين الفلسفة والشعر.

هذا ما أكده عن إحدى رسائله للوي غيوم(قصيدتك فيها كثير من العمق بحيث أنها تشرف على الفلسفة)، ويظهر بأن الصيغة التي وظفها تفترض بشكل واع مسألة كون الفلسفة مازالت تأخذ مكانا ساميا.

وبالمقابل، حينما تأخذه الحماسة يكتب، (آه ! كم يفكر الشعراء جيدا !).

وهو يلمح هنا بصراحة إلى أن الفلاسفة وللأسف يسيؤون التفكير في غالب الأحيان، " أبدا ليس لأنهم فلاسفة ولكن لأنهم يستسلمون لإغراءات بعض الانحرافات اللغوية" [3].

[1] مجلة الفكر و نقد، مقال، باشلار بين التحليل النفسي و المنهج الظاهراتي.

[2] غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ص14.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص56.

وبالتأكيد سيكون سهلا أكثر منه مؤلما أن نشير بالإصبع إلى شعراء، هم كذلك لا يحسنون التفكير ولا يفكرون على الإطلاق.

" لقد كان باشلار واعيا أنه بكونه يجتذب الفلاسفة إلى الخيال المادي، فإنه بهذا يحدد مفهوما جديدا يحتاج إليه بالضرورة للقيام بدراسة فلسفية شاملة للإبداع الشعري"[1].

و"على من يغامر بدراسة الخيال الشعري أن يتخلى عن عاداته في البحث الفلسفي ففي هذا المجال الماضي الثقافي للفيلسوف لا أهمية له"[2]، "بل عليه أن يجيد التلقي، تلقي الصورة بمجرد أن تظهر"[3].

ويمكننا القول" بأن باشلار أنجز من حقل الفلسفة ذاته، نوعا من الثورة الثقافية"[4].

3- الزمانية الباشلارية:

إن تجربة غاستون باشلار في نقده للشعر تتم من خلال العلاقة الأنطولوجية بين اللحظتين الشعرية والميتافيزيقية، واختلاف مسارهما الزماني.

والحال،"أن الأمر لا يتعلق فقط باعتراف ذاتي، ولكن بميتافيزيقا حقيقية للزمان"[5].

حيث تحدد القصيدة بعدها الزماني في تعارض مع الزمان الوقائعي.و لربما كان أحد مصادر اهتمام باشلار باللحظة الشعرية هو مناقشته لمفهوم الديمومة البرغسوني، التي شكلت مدخلا نظريا للحديث عن اللحظة الشعرية.حيث ناقضها واعتبر أن الزمان غير مستمر وبأن صيرورة الكائن الحي متقطعة.

---

[1] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص14.

[2] عبدالعزيز غوردو: فينومينولوجيا المكان- ما لم يرد عند باشلار-، مطبوعات الهلال، وجدة،ط1، ص55.

[3] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص17.

[4] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص57.

[5] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص58.

وأكد جون ليبيس أن اللحظة الزمانية الباشلارية في مقابل الأنطولوجية البرغسونية وتفاؤلها بالزمان المستمر، تسعى لإبراز أن اللحظة هي قبل ذلك عزلة تفصل الإنسان ليس فقط عن الآخرين، ولكن كذلك على نفسه، ثم ظهور وانبثاق الإرادة المبدعة.

لقد طرح باشلار شجاعة ثاقبة لإدراك زمان مغاير وحبيبي، تكون لحظاته نوعيا متعددة، والتي يمكن أن تكون بالفعل لحظات للعزلة ولحظات الإبداع السعيد.

فالزمان المحدد في اللحظة، توقف إبداعي للكائن وانبثاق لمثيراته الحلمية التي تعطي لنا صورة جديدة، يتم استخراجها من أعماق النفسية الإنسانية ربما للمرة الأولى، والشعر وحده قادر على ذلك.

4- باشلار و الشيخوخة:

لمح ليبيس أن حياة الفيلسوف غاستون باشلار قد مستها الظلمة، القلق وكثير من اللحظات السوداوية التي تخترق وجوده كضربات دبوس، وذلك في شيخوخته أي المراحل الأخيرة لحياته، تلك المراحل التي لم يكن يتوخى أن يصل إليها، وليس مفاجئا أن نجده يشير إلى ذلك في كتاباته الأخيرة، كما نعثر عليها كذلك في بعض رسائله للوي غيوم.

فيقول الفيلسوف الطاعن في السن: "(لقد تعبت ذاكرتي، مشاريعي تتقاطع، أفتقد الوقت في الغالب، كم هي القصائد التي أتوخى قراءتها ثانية، وبقلق كبير، أعثر كل يوم على إشارات غير مستعملة كان من الممكن أن تسند حجة كتابي، أترون كم أنا بحاجة إلى الإيحاءات ولمساعدة الشعراء)"[1].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص62.

نستطيع القول أن بعض المؤلفات التي كتبها باشلار خاصة شاعرية المكان، يطبعها الحنين إلى الماضي، إلى الشباب والفتوة، إلى التأمل والإبداع، بالإضافة إلى كونها "ترسم مقدمات أنطولوجية ناقصة بالأساس، انطولوجيا فيلسوف فقد عالمه"[1].

وقد أنهى ليبيس هذه الدراسة الصغيرة باعتراف مذهل على نحو ملائم ومبهم بلا شك لباشلار خلال رسالته النقدية لمجموعة من مجموعات لوي غيوم الشعرية:"(حينما أقرؤك أفكر في حياتي العبثية، لم تكن عندي الشجاعة للإنصات إليها في حقيقة إرادتي)"[2].

وهنا نستطيع تأكيد أن باشلار قد لامس متأخرا حلم الإبداع الأدبي، فيتحرر ويحررنا من كل نزعة دوغمائية،" فلا يتأتى الإهتمام فقط هنا من روح الشاعر المبدعة ولكن كذلك من روح القارئ التي تستوحي القصيدة، حتى يوقظ في ذاكرته وقواه الروحية"[3].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار (نحو نظرية في الأدب، ص62.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص64.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص13.

المقالة النقدية الأدبية الثانية

غاستون باشلار والشعراء

بقلم: لوي غيوم

المقـالة النقـدية الأدبية الثـانية:

غاستون باشلار والشعراء بقلم: لوي غيوم

افتتح الشاعر لوي غيوم مقالته النقدية وهي عبارة عن برنامج إذاعي بإبراز جوانب عدة من حياة غاستون باشلار من المولد إلى الوفاة، ثم حاول أن يسلط الضوء على المرحلة المبدعة الثانية من حياة أستاذ الشعراء، أي الجانب الشعري الفلسفي لخفاش الأسطورة، هذه التسمية التي جاءت ضمن تعليق غيوم على منظر ومقولة باشلار الشهيرة: "(انظروا إلى أرجلي، أنا فيلسوف للعلوم. انظروا إلى أجنحتي، فأنا شاعر)"[1]. ومن آراء غيوم النقدية الأدبية خلال هذا المقال:

1- غاستون باشلار أستاذ للصور الشعرية:

لقد وصف لوي غيوم باشلار بأستاذ الصور الشعرية الكبير، ملمحا إلى أنه قد التجأ إلى الصور الشعرية ككينونة لغوية تضفي نورا على الوعي وملاذا له، حيث من غير المجدي أن نبحث عن سوابق لا واعية لهذا، بمعنى تتناول الصور الشعرية في كينونتها الخاصة منقطعة عن أي كينونة سابقة.

فيمكننا أن نستوعب الصور التي يفرضها الشاعر حتى وإن بدت غريبة عن الواقع كونها صور لتأملات شعرية تحدث فينا إشارة ضوئية منزوعة عن الماضي، وذلك بدون الولوج إلى جزئيات تاريخية عن حياة أو مكونات ذاتية للشاعر.

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص33.

بين باشلار و الشعراء علاقة مستمرة، فهو منارة بالنسبة لهم، يلهمهم ويحسون دائما أنه واحد منهم، فقد اجتاحته القصيدة شيئا فشيئا وتدفقت داخل روحه بغزارة.

حيث جزم غيوم أن باشلار "أكثر الشعراء فلسفة، والفيلسوف الأكثر شاعرية"[1]،وقد ردد الفيلسوف في كثير من كتبه ورسائله أنه يدين للشعراء، والشعراء أيضا مدينين له،لأنه "يلزمهم العودة لقراءة ما كتبوه وبأن يفهموا جيدا صورهم، والتي وضعها تحت إضاءة جديدة"[2].

2- غاستون باشلار ناقد للشعر:

اهتم باشلار كثيرا بالشعراء الشباب، وقد ركز غيوم خلال مقاله المختار على ذلك حيث كانوا يأتون إليه ويستقبلهم جميعا ليكشف لهم القصيدة المقبولة والمقاطع الشعرية الجيدة، "وقد استشهد إلى جانب شعراء مشهورين بآخرين مبتدئين لم يعرفوا كيف يثيرون انتباههم"[3].

وقد تجنب غاستون باشلار دائما إعطاء نفسه صفة الناقد الأدبي لسبب بسيط هو كونه لا يقصد إلا شيئا واحدا اسمه: متعة ولذة القراءة حيث يقول: " لأنني لست إلا قارئا ومحبا للقراءة"[4].

من خلال ذلك شكلت لعبة القراءة هاته ثورة منهجية وفكرية، أوجدت نظرية للأدب والذوق الجمالي، مغايرة تماما للمقاربة التقليدية، وفي نفس مستوى فلسفته الجديدة للعلم.

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب،ص31.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص35.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص34.

[4] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص44.

ولقد تساءل لوي غيوم عن كيفية وصول عالم وفيزيائي عظيم،إلى أن يصبح أفضل منبع شعري لحقبته ؟ مبرزا إجابته عن هذا الإشكال بالتعريف بكتاب" التحليل النفسي للنار" وليست النار كموضوع علمي هي التي درست، ولكن الإنسان المتأمل أمام النار، "النار التي يمكن أن تحمل تعددا قيميا يعطيها هذه القدرة على إظهار قيمة ونقيضها في نفس الآن فهي: حميمية وكونية تضيء وتحرق، موقد وقيامة، علاج وحريق..."[1]

حيث تميز باشلار بخصلته الموسوعية الكبيرة، والقدرة على ولوج فضاءات معرفية متعددة توزعت بين حقول مختلفة، فقد اكتشف ذلك الفيلسوف الخارق طبقة نفسية ربما أقل عمقا لكن أكثر تعقلنا من تلك التي للحلم، إنها طبقة حلم اليقظة، وهي ظاهرة من ظواهر الوحدة تجد جذورها في روح الحالم. هي "حالة روحية تساعدنا على الهروب من الزمن، حيث يسير الحلم وهو ينساب، ويشتغل حلم يقظته كنجم"[2].

فالإنسان ينقاد وراء حلم يقظته الخاص، وهذا ما وضحه الفيلسوف في كتاب التحليل النفسي للنار، مؤكدا على أن التجارب الباطنية تتناقض حتما مع التجارب الموضوعية. "فحلم اليقظة الذي يبحث عنه وهو ينظر إلى الشعلة، سيجده أكثر فأكثر في الصور التي يلتقطها من المجموعات الشعرية وكذا المؤلفات النثرية"[3].

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص88.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار–نحو أفق للحلم، ص88.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص37.

ولن يكون من الصعب والمستعصي أن نعمل مع الماء، الهواء، الأرض، الدم الملح والخمر ما خططنا له في النار، وهذا ما أكده غاستون باشلار خلال برنامج إذاعي بث عام 1945، بقوله: (ينعش حلم اليقظة عالم الأقوال الأولى).

3- قاعدة العناصر الكوسمولوجية:

لقد غيرت قاعدة العناصر الأربعة المشهورة سلوك مجموعة من الشعراء، ولم تتقيد بتوجيه خط باشلار في المتاهة الشعرية فقط، بل تجاوزت ذلك إلى محاولة الوقوف على تحديد الأصول والروافد أي كيفية تفاعل الخيال الإنساني حيال العناصر الكوسمولوجية (النار/ الماء/ الهواء/ الأرض) وقد ظهرت لأول مرة في كتاب الماء والأحلام سنة 1940.

وتبين خلال ذلك أن على كل شاعرية الحصول على مكونات الجوهر المادي. ولكي يتواصل حلم يقظة بثبات أكثر ليعطي عملا مكتوبا، وحتى لا يكون مجرد استراحة ساعة عابرة، فإنه من الضروري أن يجد مادته وأن يعطيه عنصر مادي جوهره الخاص وكذا شاعريته النوعية.

اعترف في أثناء هذا المقال المختار من قبل الباحث بوخليط، لوي غيوم بالجميل لباشلار، حيث أعاد للأفكار مسلكها للأحلام، في حين أدرك الشعراء بأن الصورة لكي تستمر عليها التجذر في المادة، وبأن مهمتهم الأولى هي" أن يرفعوا داخلنا مرساة هذه المادة التي تبتغي الحلم"[1].

4- غاستون باشلار والقصيدة:

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص39.

إن لاستعارة غاستون باشلار أمثلته من القصيدة كما رأى غيوم عدة أسباب منها: انقراض الأساطير في زمننا، بينما يعد أهم سبب لذلك هو أن "الخيال لا يستضيء إلا بالقصائد التي يوحي بها... فالقصيدة هي التي تمكننا من أن نحب قدرنا الباطن وتعطينا انطباعا بالشباب والفتوة... القصيدة الحقيقية وظيفة للإثارة"[1].

ولقد كان لقراءته اليومية للقصيدة وتعطشه المعرفي للصورة الشعرية الجديدة والفنية القادرة على أن تجعله يعيش واحدة من لحظاته الوجدانية دور مهم ومصدر قار لاهتمامه بالشعر و الشعراء.

فالقصيدة عنده ليست ترجمة لجمال ثابت وصامت، بل هي حركة خاصة، حيث يقول: "(قصيدة جميلة هي بمثابة أفيون أو نبيذ، إنها غذاء مسكن للأعصاب، لذا من الضروري أن تثير فينا تأثيرا ديناميا)"[2]. و"الشاعر الجيد هو الذي يجعل من هذا الخيال سفدا"[3].

إننا أمام عبور حميمي للشاعر والقصيدة معا مثل عبور وسفر الدم في الشرايين،"فللشاعر دور كبير في ارتقاء الشيء أو الكلمة المختارة لديه، وذلك بوضع العالم تحت تأثير الشيء"[4]، فيغير وجوده ويرتقي إلى العالم الشعري فنسير معه، ونحلم معه، ونعتقد فيما يقوله، ونعيش في عالمه.

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص40.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو أفق للحلم، ص34.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو أفق للحلم، ص34.

[4] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص42.

مبرهنا غيوم على ذلك من خلال رؤيته إلى أن القصيدة المكتوبة والصورة الأدبية لدى باشلار تجعلنا نعيش زمن الإزهرارات.

"فالقصيدة هي حقا الظاهرة الأولى للصمت المنته، كما هو فقير الزمن الحي، لقاء الأوقات التي تبدع داخل القصائد"[1]. فالقصيدة ليست تقليدا بل هي حلم أولي، وإثارة للصورة الأولى.

5- غاستون باشلار مرشد حلمي:

رأى لوي غيوم أن هذا الفيلسوف مرشد حلمي للشعراء المعاصرين، مستشهدا بما يقوله باشلار:(إذا كانت هناك من مهنة للشاعر، فهي الوظيفة الثانوية والتي تقوم على جمع الصور لكن حياة الصور بأكملها وفي وميضها، بحيث أن كل صورة هي تجاوز لكل معطيات الحساسية).

ثم يواصل وعظه للشعراء بأن لا يصفوا ولكن يوحوا:(يجب حمل القارئ إلى وضعية القراءة المؤجلة بشكل مفارق، فإن أعينه حينما تترك الكتاب، عليها أن تشارك الشاعر حقا).

وذلك لتأكيده أن الشاعر هو الأكثر تجديدا، الموظف للتأمل، الأكثر حرية في العادات الاجتماعية، ينقل إلى قصائده أسبابا تتأتى من العمق الاجتماعي للغة، إلا أن الأشكال والكلمات ليست كل القصيدة.

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص44.

إن مهمتنا بالضبط من هذا العمل هي تنسيق بعض المفاهيم المادية، أي إقامة الدليل على أن بعض المواد تنقل إلينا قوتها الحلمية، وهي نوع من القوة الشعرية تعطي وحدة للقصائد الحقيقة. فإذا كانت الأشياء تنظم أفكارنا، فإن مواد العناصر ترتب أحلامنا.

لقد كان باشلار أستاذا استثنائيا للقصيدة، حتى آخر نفس من حياته وقف إلى جانب شعراء عصره، ولم ينفي الشاعر غيوم امتداد وتنوع أبحاثه وهيمنته على حقبته باستعمال تركيب واسع هو في الآن ذاته صعب ومألوف، واقعي وحالم، يخصصه فقط للقصيدة التي حازت على المجد معه، لأنه يرى أن للشاعر دور أساسي في العالم المعاصر، "وكان بإمكانه إقامة الدليل على أنه لم يكن فقط وفي الغالب جدا صديقا حميما للشعراء، ولكنه هو نفسه شاعر كبير"[1]، وهذا بشهادة شاعر عظيم مثل لوي غيوم.

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص52.

المقالة النقدية الأدبية الخامسة

باشلار عند العرب

بقلم: عمور الشارني

المقالة النقدية الأدبية الخامسة:

باشلار عند العرب بقلم:عمور الشارني

أطل علينا الباحث العربي عمور الشارني في آخر مقالة نقدية من القسم الأول للكتاب الذي حمل عنوان "ترجمات"، قرب خلالها الحضور المحدود لكن العميق جدا، لكتابات باشلار في العالم العربي.

و ربما بشكل يتناسب مع هذا الرجل الكبير، والفيلسوف الفريد صاحب الأفق الفكري المتميز.ونستطيع القول ودون مبالغة أن المقالة تشكل مرآة لتناول باشلار في العالم بأكمله، حيث احتوت على عدة آراء نقدية أدبية منها:

1-غاستون باشلار أستاذا كبير:

تركز حضور باشلار في العالم العربي في المؤسسة المدرسية، فكان دعامة لتدريس الفلسفة سواء في الثانويات أو الجامعات.

وبتحليل ثاقب انطلق عمور الشارني ليظهر تعددية النظر إلى باشلار لصالح المؤسسات، ومن خلال موضوعات مختلفة جدا.فعلى سبيل المثال، تظهر نظرة خاطفة أن كتب الصف النهائي والدروس الموجهة للطلبة ثم الرسائل والأطروحات تحمل صدى الفكر الباشلاري قبل المؤلفات اللامدرسية.

لكن ما" يمكن إضافته بسرعة كون هذا الصدى ليس بمتجانس ولا مشترك"[1]. فهو عبارة عن محاولات متناثرة، ننظر إلى الفيلسوف غاستون باشلار نظرة جزئية والدليل أننا لا نجد

[1] سعيد بوخليط، غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص82.

دراسات عربية شاملة لذلك الرجل العظيم، تلم بجميع جوانب إشتغالاته النظرية و المفهومية، ومقارباته النقدية بين الحقول المتباعدة خاصة العلم والأدب.

2- الفكر الباشلاري عند العرب:

لعب الفكر الباشلاري دورا مهما ومتعددا عند العرب، ورأى الشارني أنه عرف مرحلتان مميزتان منذ الأربعين سنة على الأقل في الضفاف الجنوبية من البحر المتوسط فقد جابه فكر باشلار أولا، الماركسية والتحليل النفسي ثم الإنثنولوجيا، وذلك من أجل إثارة الفكر النقدي عند الشباب المترشح للمعرفة، وجعله يكتشف بأن كل حقيقة لن تكون في منأى عن التاريخ والزمان بأحداثه.

أما المرحلة الثانية، فعرفت الماركسية خلالها مجموعة من التقلبات المهمة داخل البلدان العربية وفوجئت بقمع عنيف، كما تم تجاوز موضة التحليل النفسي و الإنثولوجيا إلا أن الإبستيمولوجيا صمدت وحدها، وكان لها الامتياز الثنائي. حيث تخلصت نسبيا من القمع وكذا الموضة.

في حين إذا اعتبرنا كل شيء إيديولوجي أكثر منه فلسفي. " فإن هذا الدور يقارب ذلك المتعلق بالمقاوم الذي كانه أو توخى بالتأكيد أن يكونه، مقاوم ضد الدوغمائية والتعصب، وضدا المدافعين عن الأفكار البالية وكذا المفاهيم القديمة عن العالم والإنسان"[1].

3- تعريب باشلار:

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص82.

" لقد كانت لباشلار مؤلفات مكتوبة وصادرة عن ناشرين محترفين في بيروت أو الدار البيضاء "[1]، أما بالنسبة للأدب تتوزعه مجموعتان:

الأولى، تتألف من كتب صادرة موجهة للعموم، تقدم وسائل للإشتغال الجامعي لأنها تمثل دروسا تم تدريسها قبل ذلك، كما تقدم مناهج رسمية للتدريس.

أما الثانية، فهي عبارة عن أعمال في كونها بحثا جامعيا، وموجهة للحصول على درجات أكاديمية، مثل ما بعد الميتريز أو أطروحات الدكتوراه.

ومن المثير أن نلاحظ أن توظيف باشلار في الدراسات الأدبية ظل هامشيا، وقد أصاب الشارني لإلقائه الضوء على أهمية هذا الأدب المكتوب بالعربية، والصادرة عن ناشرين مشهورين بالرغم من اكتفائه بعينات محدودة.

كما أشار إلى أن السبب الأساسي لقلة الترجمات العربية لكتابات باشلار هو أن "الممارسة لم تهم إلا بعض النصوص التي لها خاصية مزدوجة، بحيث هي في الآن ذاته قصيرة نسبيا"[2]، بالإضافة إلى أنها تخضع لتراكيب صادمة دون جهاز موسوعي كبير. والقضية الكبيرة التي يمكن طرحها هي النزوع داخل العالم العربي من أجل تأويل باشلار عوض تركه يتكلم بنفسه.

و أظهر الشارني خلال مقاله المختار من طرف الناقد سعيد بوخليط أن صعوبة ترجمة باشلار تقوم على نظامين:

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص83.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص84.

"من جهة انحصار الجمهور الذي يهتم بفلسفة العلوم، والتي تتوجه حتما إلى النخبة. ثم من جهة أخرى، الجهاز الموسوعي الذي يؤسس مؤلفات باشلار حين يوشك أن ينفر منه المترجمون"[1].

بالإضافة إلى سبب ظرفي هو أن أغلب المترجمين الذين تعاطوا مع الفيلسوف سواء من أجل أبحاثهم الخاصة، أو لتقديمه للجمهور، كانوا قادرين على قراءته داخل النص، دون إدخال أي سبب متعلق باللغة في الحسبان وذلك لأن لغة باشلار وكما يعرف كل واحد منا، ذات فصاحة كبيرة من جهة، ومن جهة ثانية "المصطلح العلمي الذي يقتضيه جهازه الموسوعي خاضعا تقريبا لمصطلحات خاصة"[2].

وبمفاهيم أخرى، الترجمة ليست نقلا، وليست الكلمات هي التي تتواصل ولكنها الأفكار وهي في الغالب متفردة وغريبة. "فالثقافات ليست شفافة الواحدة للأخرى، كما أنه لا يكفي أبدا إلباس كاتب أجنبي ألوانا وطنية لكي يصبح من أهل البلد"[3].

ليست هناك صعوبة في ترجمة باشلار، الصعوبة تتجلى بالأساس في ترجمته بطريقة مفهومة، أي إعادة كل السياقات و الجدالات العلمية التقنية والفلسفية الموجودة خلف الباشلارية والتي تمكن من فهمها، بدونها ستبقى مجرد إنتاج أجنبي.

"الأكثر صعوبة هو تطعيم ثقافة لم تعش ذلك، بحركة تاريخية بظلماتها ونورها"[4].

كما أن شارحي باشلار يحبون مفاهيم العائق و القطيعة الإبستمولوجية، ومفهوم القطيعة الإبستمولوجية هو المفهوم الذي يعبر في نظر باشلار عن القفزات الكيفية في تطور العلوم، ويكون من نتائجها تجاوز العوائق الإبستمولوجية القائمة.

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص85.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص85.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص88.

4 سعيد بوخليط، غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص89.

فمثلما أشار محمد الوقيدي أن" ليست هناك قطيعة إبستمولوجيا حاسمة ونهائية، فلكل فترة من تاريخ المعرفة عوائقها، وعندما تحدث قطيعة إبستمولوجية داخل فكر علمي، لكي تسمح بفضل ذلك قيام فكر علمي جديد"[1].

إن ما يشكل عائقا بالنسبة للثقافة العربية المعاصرة حسب الشارني هو عجزها عن الإقرار بالتاريخية، الشيء الذي يجعلها تأخذ الماضي البعيد كحاضر حي دائما فالعمل العربي يقوم على تحنيط الفيلسوف وجعله مفكرا داخل التاريخ دون أن يكون مفكرا للتاريخ.

لقد ربط الفيلسوف في عالمنا العربي بوظيفته مؤرخ العلم، والباحث في بنياته النظرية والمنهجية، في حين بقي الشق الثاني من إشتغالاته، أي ذلك المتعلق بصياغة نظرية جديدة من الخيال الأدبي مهملا و هامشيا.

4- عمل باشلار:

إن ما يثير الاهتمام ويدعونا إلى رسم شبح الفيلسوف بملامح كبيرة هو المجهود التركيبي الذي يحققه عمله الإجمالي، فهو تركيب متعدد و على مستويات كثيرة.

فيظهر عمل باشلار كأنه تأليف بين العلم والفلسفة، ثم كتوفيق بين مذهبين فلسفيين متعارضين تقليديا، أي العقلانية والمادية. ويمكن اعتباره أحد المتأملين الذي تمكن من إقامة صلة بين الفرعين الأساسيين لحياته الروحية: العلم والقصيدة. حيث " توخي مماثلة العلم بالنشاط الشعري، ثم القصيدة بالنشاط العلمي، أو بشكل أدق فإن المسألة تتعلق بإظهار كيفية نجاح باشلار في تأسيس "شعرية للعلم" وكذا "علم للقصيدة""[2].

لكن وراء كل هذا وما يؤكده، هو المجهود المبذول من قبل عالم/ فيلسوف توخى إعادة الخطاب الفلسفي في قلب العلم.

---

[1] محمد الوقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، مكتبة المعارف للنشر،بيروت، د ط،1984، ص 156.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص103.

5- الدياليكتيك الباشلاري:

يعرف الدياليكتيك "كموقف إبستيمولوجي وسط بين نقيضين، أو كحوار بين شريكين،أو كتكاملية بين وجهتي نظر متباعدتين"[1].

وقد شغلت الدراسات المخصصة للدياليكتيك مكانة مهمة في الأدب الإبستمولوجي فهو "عبارة على نوع من الفكر الإنتقائي، يصر على تجميع ليس الأفكار المتناقضة ولكن الرؤى المتباعدة، وأن يجعل منها تركيبا"[2].

والمعنى الممنوح للدياليكتيك يعود لمصطلح الحوار باستمرار، يتعقبه كذلك التفاعل ومراجعة الحقائق القائمة آنفا واتساع حقائق الأشياء.

وعند استحضار باشلار" لوجهة نظر لم يتم التأكد منها قط، نرى فيها دياليكتيكا خاصا بتاريخ العلوم، الذي يعبر عن غياب لكل حقيقة مكتملة، وبالتالي مبدأ مراجعة كل حقيقة علمية أو صلة القديم بالحديث في إطار هذا التاريخ ذاته"[3].

نستخلص من خلال ذلك بوضوح "أن الديالكتيك الباشلاري، ليس دياليكتيكا حقيقيا مادام أنه لا يقوم إلا على النظري، أي على المعرفة وليس على حقيقة الشيء التي هي موضوع لهذه المعرفة"[4]. "لقد افتقد باشلار الدياليكتيك الحقيقي، ذلك الذي يقوم في إطار الواقع ويدير التعارضات التي تقوم داخله"[5].

---

[1] سعيد بوخليط، غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص148.

[2] محمد الوقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، ص150.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار نحو نظرية في الأدب، ص98.

[4] محمد الوقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، ص151.

[5] محمد الوقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، ص159.

المقالة النقدية الأدبية الرابعة

باشلار والشعراء: حول صورتين للوي غيوم

بقلم: مارسيل شيتل

المقالة النقدية الأدبية الرابعة:

باشلار والشعراء: حول صورتين للوي غيوم

بقلم: مارسيل شيتل

قدم الباحث مارسيل شيتل من خلال مقاله المختار من طرف الناقد سعيد بوخليط غاستون باشلار على أنه فيلسوف يهتم بالقضايا الكبرى في مجال الإبستيمولوجيا والتفكير العلمي الدقيق.

ففي مجال يشتغل فيه الماء، وتذوب فيه النار، وتروم اللغة إلى رقصة المرايا التي تحمل جسد الشاعر في رقصته الحالمة، درس باشلار مجموعة من الشعراء والكتاب

كبودلير (Baudelaire) ، ريكله(Rilke)، شار (CHAR) ، بوسكو(Bosco) بو(Poe) وبروتون (Breron).

تحدث شيتل عن توظيف عن باشلار لمجموعة من صور الشعراء، خاصة تلك التي جاءت بها قصيدة لوي غيوم.

وقد اشتملت المقالة على عدة آراء نقدية أدبية منها:

1- الصور الأدبية الشعرية عند باشلار:

"كان باشلار قناصا وجامعا للصور، الصور الأدبية والشعرية وأحيانا التشكيلية"[1] والصورة حسبه تدرك في ذاتها وكينونتها من خلال حضورها وتجليها في الوعي، دون ربط هذه الصورة بأي محددات نظرية و مفاهيمية سابقة.

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص66.

فلا جسر يربطنا بالصورة إلا الاندهاش، فهي تخلق ذاتها باستمرار، بشكل يجعل ماضيها يساوي الصفر، الحاضر فقط هو المتحكم فيها، فهي حالات ولادة لا نهائية لأحلام اليقظة. حيث يقول في كتاب شاعرية حلم اليقظة: "(إندهش أولا، وبعد ذلك ستفهم)"[1].

وقد أجاب الفيلسوف الفذ بلطف على رسائل شعراء وحتى مجهولين تتعلق ببعض الصفيحات الشعرية، وهو يردد: "(إن من يعيش للقصيدة عليه قراءة كل شيء)"[2]، نفهم إذا أن الصورة الباشلارية يمكن أن تأخذ بالفعل أشكالا مختلفة ويمكنها أن تتطور، ويكفي أن تكون مادية و دينامية حتى ترفع حلم اليقظة، وتضع الخيال في ارتجاج، الأمثلة المختارة من قبل باشلار تؤكد ذلك:" تكفي بعض المقاطع الشعرية، جملة بل وحتى كلمة أبدعها الشاعر ثانية حتى تدوي الصورة الجديدة في روح القارئ"[3].

كما نستطيع ملاحظة أن كلمة جميلة تصبح صورة بالنسبة للقارئ، وكذا بالنسبة للشاعر، وذلك إذا وضعها في منظور يمجدها، يعتني بها ويمتدحها جيدا.

وقد اعتبر مارسيل شيتل باشلار حالم كلمات، فمن الطبيعي أن تكون له القدرة على رؤية صورة جميلة بالقوة في بعض الكلمات الجميلة، بل وحتى علاجا أصيلا.

لأن "الصورة الشعرية هي بروز متوثب ومفاجئ على سطح النفس. و للآن لم تدرس بشكل واف الأسباب النفسية الثانوية لهذا البروز المفاجئ"[4].

لكن حذار" فالصورة الشعرية لا تخضع لاندفاع داخلي، كما أنها ليست صدى للماضي"[1].و"على أولئك الذين يتصدون لدراسة الأعمال الأدبية أن يكونوا واعين كل الوعي

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص66.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص66.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص67.

[4] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2 1984،ص17.

بتعقدها، فلا يحولون تفسيرها باختزالها في هذا الأصل أو ذاك: صدمة نفسية طفولية إصابة غددية، وضعية اقتصادية، اجتماعية، سياسية...الخ"[2]

لأن دراسة الأعمال الإبداعية خصوصا العملاقة منها، يتطلب منا أن ندرسها أيضا في حد ذاتها،" أي في الحالة التي يكون فيها الفنان في صراع مع مادته الخام ومن ثم انتصار الفكر الخلاق على المعطيات المباشرة للتجربة الحسية"[3].

2- نقد الشعر عند غاستون باشلار:

لقد تم تقسيم باشلار الناقد إلى مرحلتين فكرتين كبيرتين على مستوى ممارسة النقدية، بين لحظة موضوعية تبنى فيها تصورات مؤسسة على نزعة علمية، مرتبطة بتأثر باشلار بالمناخ المعرفي الذي وضعه لنفسه، وهو البحث في تشكل الفكر العلمي.

ثم" لحظة ذاتية تجاوز فيها باشلار صراحة النزعة الموضوعية، لينصت لخفقان الذات في أقصى حدودها"[4].

حيث كانت له طريقة في قراءة الشعراء، يقتطف خلالها صورة من القصيدة، غالبا ما تكون قصيرة(بعض المقاطع الشعرية أو بعض الكلمات)، لا يهمه أبدا التركيب العام بل وحتى السياق، لنأخذ في الحسبان فقط، أن" فيلسوف الخيال يطلب منا المشاركة في حلم اليقظة المبدع للشاعر"[5].

فباشلار كما أشار شيتل يعشق توظيف التمثل الشعري، مما يجعل القصيدة لعبة حوارية مع الأشياء والممكنات الكونية، ويحلم باشلار بما اقتطف من القصيدة ويقوم بالتقولب

---

[1] عبد العزيز غوردو: فينومينولوجيا المكان ما لم يرد عند باشلار، مطبوعات الهلال، وجدة، ط1،ص55-56.

[2] عبد العزيز غوردو: فينومينولوجيا المكان ما لم يرد عند باشلار، مطبوعات الهلال، وجدة، ط1،ص56.

[3] عبد العزيز غوردو: فينومينولوجيا المكان ما لم يرد عند باشلار، مطبوعات الهلال، وجدة، ط1،ص56.

[4] مجلة فكر و نقد مقال: باشلار بين التحليل النفسي والمنهج الظاهراتي،ع21،سبتمبر1999.

[5] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص69.

مع حركة المقطع الشعري(آه ! لو أن هذه الصورة التي أعطيت لي كانت صورتي حقا، صورتي بحيث تصبح موضع فخر عند قارئ عملي !)،القصيدة عند باشلار تصنع اللحظة الجديدة، وتفتح سبيلا للسعادة، فهي وظيفة لليقظة.

حيث" تناول القصيدة من خلال تحمسها للصيرورة الإنسانية عند ذروة إلهام يسلمنا إلى القول الجديد"[1].

وقد عمل هذا الفيلسوف الفذ على استحضار الدراما الصغيرة اليومية في مقدمة شاعرية المكان، حيث نجد الاستشهاد الأول ب: لوي غيوم الذي شكل نموذجا في هذا الكتاب، وهو تتمه لعدة مقاطع على حسب مارسيل شيتل عن مشاهير المؤلفين مثل: بودلير، ريلكه، أو هنري و بوسكو، وقد صور أيضا بعض الشعراء المعاصرين الغير معروفين.

استمد غاستون باشلار غذاء أحلام يقظته من شعراء مختلفين جدا، حيث أخذت هذه الأحلام وضعا طبيعيا جدا في التطور، حيث يقول: "(في حجرة أصبحت خفيفة، تنمي شيئا فشيئا الفضاءات الكبيرة للسفر، يتأهب مانح الحرية للاختفاء والامتزاج بولادات أخرى، مرة ثانية)"[2].

ومانع الحرية يمكن أن يكون الشاعر كما تخيله باشلار، فحين دراسته لصورة ملتقطة من قصيدة للوي غيوم، انتزع شيئا قليلا من عمولتها، وفقا لعاداته في القراءة،" ويتوخى غاستون باشلار دائما الاستفادة بعمق من إيحاءات الشعراء، وبالنسبة إليه فإن الحكم الشعري ليس هو شكل تأخذه الصورة"[3].

3- الظاهراتية الباشلارية:

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص69.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص71.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص75.

سعى باشلار إلى إيجاد فلسفة مختلفة تواكب تصوراته الجديدة للخيال، مع تحديده للأرضية التي تعكس هذا التصور.

فبعد أن كان فيلسوفا للفكر العلمي، وبشكل ما محللا نفسيا، وجد في الظاهراتية المنهج المناسب والممكن للتعبير عن الدلالة المميزة للفعل الشعري.

" وقد صاغ الفيلسوف غاستون باشلار أفقه الظاهراتي في مجال النقد الأدبي منطلقا من العمل الأدبي يقوم على أفعال قصدية من قبل مؤلفه، تجعل من الممكن للقارئ أن يعايشه بوعيه كقارئ. وتعني المعايشة هنا نوعا من التداخل عبر التجربة القرائية بين المؤلف والقارئ "[1].

ويتحول الوعي الإنساني إلى فعل قصدي، ومن ثمة إلى ضرورة تتناوله كعمل دينامي وحقيقة تبتغي بها الذات شيئا معينا، " فالظاهرة إذن هي المعطى المقدم إلى الشعور بصفة مطلقة...، أما التحليل الظاهراتي فيقوم بتحليل الظاهرة من حيث هي إحالة متبادلة للفعل الشعوري مع العالم الموضوعي"[2].

فيقف الظاهراتي عند مطلع الصورة، كي يتماهى مع حمولتها المتعددة إلى درجة تقمصه شخصية الشاعر نفسه.

أي أن "الصورة الشعرية تهب القارئ قدرة الانتقال من تحقق الشعري إلى الوعي الإبداعي، فمعنى التحول من موقع الذات السلبية إلى الذوبان في العملية الإبداعية"[3].

4- شهادات حول باشلار:

[1] ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضافة لأكثر من خمسين تيار ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي،ط2، 2000، ص214.

[2] عبد الفتاح الديدي: مذاهب وشخصيات. الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة-، دار الهلال، د ط، د ت، ص26.

[3] مجلة فكر ونقد، مقال: باشلار بين التحليل النفسي والنهج الظاهراتي.

كان للفيلسوف كثير من العلاقات الإنسانية، قامت بينه وبين الكتاب. فهو صديق الشعراء جمعتهم روابط الصداقة والمحبة، يتذكر الشاعر لوي غيوم زياراته المتكررة لذلك الرجل العظيم يتأثر، ويكتب قائلا: (يغط ريشة قديمة من الحديد في مجرة متوحلة).

أما فيما يخص التأثير الذي مارسه ذلك الكائن الخارق المتخيل على الشعراء يقول غيوم مجيبا على بعض التساؤلات، حيث أكد – وهو ما يمكن أن نشك فيه – بأنه لم يتلق من الفيلسوف لا نصائح ولا اقتراحات:" (لكنه جعلني أكتشف ما تنطوي عليه قصائدي من عناصر، وبأنني ما قمت به غريزيا قبل إدراكه كان قد نظم وقصد بعد ذلك)"[1].

في حين ذلك جاءت شهادة هنري بوسكو الذي نقل عنه باشلار مرارا، وعلق عليه كما أهدى إليه كتابه شعلة قنبيل مناقضة تماما لشهادة غيوم "(أدين له بكثير من قراءتي القيمة، لكن بوضع هذا الاهتمام)–وهي تؤخذ في الحسبان– فإن في الرجل ذاته شيئا يجعلك تحبه، رؤية باشلار والتحدث إليه ثم التماهي بحماسته. لا توجد تسلية أكثر من ذلك)"[2].

و في آخر المقال نجد الباحث مارسيل شيتل يؤكد أن باشلار قد وضع أهمية وقيمة لوظيفة اللاواقع، وكذا الإنسان الأدبي، يساعد على الأقل في تذوق أفضل لصور الشعراء المتميزة، حيث تقلب لشكل أحسن لتجعل صورا للمتلقين أنفسهم.

ولقد أظهر لنا بأن" حلم اليقظة يعطينا عالم الروح، وبأن الصورة الشعرية تقدم الدليل على روح تكتشف عالمها، عالم تتوخى أن تعيشه، وجديرة بأن تكون فيه"[3].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص79.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص79.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص80.

المقالة النقدية الأدبية السابعة

غاستون باشلار عقلاني رومانسي

جون ليبيس وباسكال نوفل

بقلم: سعيد بوخليط

المقالة النقدية الأدبية السابعة:

غاستون باشلار عقلاني رومانسي جون ليبيس وباسكال نوفل

بقلم: سعيد بوخليط

يمثل المقال الثاني من قسم "قراءات" مقاربة نقدية للباحث بوخليط، من خلال إعادة قراءة لكتاب غاستون باشلار: عقلاني رومانسي، مؤكدا أن القيمة النظرية والمنهجية لهذا الكتاب تكمن في كونه إحدى ثمرات الإشتغال المستمر لمجموعة من الباحثين، يجمعهم العشق الحالم للمتون الفلسفية لمفكر إنساني كبير من طراز غاستون باشلار.

يحمل المقال دعوة صريحة لقراءة ومتابعة كتاب كل من جون ليبيس وباسكال نوفل الذي صدر عام 1997 عن المطابع الجامعية لديجون يضم مقالتين أساسيتين تحملان العنوانين التالين:

أ-غاستون باشلار؟ فيلسوف فائض.

ب- جانوس و المالنخوليا.

كما احتوى المقال أيضا على بيوغرافية غاستون باشلار، و بيليوغرافيا بأعماله التي تمتد من 1928 إلى 1961.

و خلال ترصدنا لهذه المقاربة النقدية، وولوجنا لهذا العمل من بوابة الناقد سعيد بوخليط، نجد أنفسنا أمام عدة آراء نقدية أدبية، يمكن جمعها ضمن سياق علمي متسلسل تاريخيا تحت عنوان:

°الحياة الفكرية الباشلارية°:

*بدأت حياة باشلار الفكرية بكتابين هامين، يمثلان الواجهة الميتافيزيقية للفيلسوف وهما: 1- جدلية اللحظة.

2- جدلية الديمومة.

ساجل من خلالهما مفهوم الصيرورة عند برغسون، حيث يقول في هذا السياق:" (نقبل من البرغسونية كل شيء إلا الاستمرارية)"[1].

محاولا دحض الأطروحة البرغسونية وذلك بتأكيده على أن الزمان يجب فهمه كتتابع للحظات أكثر من النظر إليه باعتباره ديمومة.

*وفي سنة 1938، تم تدشين المسلك الثاني للحياة الفكرية الباشلارية.

ونعني بذلك كتابي:

1- تشكل الفكر العلمي: وهو العمل الذي أدخل مفهوم العائق الإبستمولوجيا.

2- التحليل النفسي للنار: حيث بدأ الشق الثاني من مشروعه بتأكيده على أن "العناصر الكوسمولوجية الأربعة: النار والأرض والهواء والماء، تشكل حقا هرمونات للخيال"[2]. فهي عبارة عن مثيرات حلمية، يعمل الشعراء على نقلها من مستواها السطحي المبتذل إلى أفق حالم. الشيء الذي جعله يقول في آخر حياته: " (كل شيء سار شيئا ما بشكل أفضل في حياتي العملية، حينما رأيت أنه بإمكاني ويجب أن أعيش حياتين)"[3].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص146.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص147.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار-نحو نظرية في الأدب-، ص147.

وهو يقصد مسار العلم بصياغته المجردة، وإيحاءات القصيدة، حيث انفتحت وجهة جديدة للبحث عند باشلار، فقد دشن اتجاها جديدا للعمل يجعل من الخيال موضوع بحث مستقل.

*في الأربعينات ومع ظهور المبدأ الظاهراتي، الذي يقوم على القصدية وحصول الوعي بشيء ما. وجد باشلار بالفعل المنهج الممكن والمحتمل للدفاع عن ما حاول التنظير له في الأعمال الأخيرة من حياته ونقصد بذلك أولانية الصورة وحداثتها فمنطلق المشروع الباشلاري، يتوخى النظر إلى الصورة كحقيقة أولانية غير مسبوقة بأي تحديد قبلي. الصورة تدرك في ذاتها وفي كينونتها من خلال حضورها في الوعي، تخلق ذاتها باستمرار كما تعمل على تجاوز ممكنات إنتاجها الآني.

بعد ذلك تم التأكيد من قبل عدة نقاد غربيين أن السمة الظاهرة لعمل باشلار تتجسد أساسا في الثنائية المفهومية المميزة لعمله. ويقصد بذلك الإبستمولوجي والشعري.

وعند التأمل للكشف عن المنبع الوحيد الذي يتأتى منه المنحدران، يتم تحديد هذا المبدأ " كمشروع لانفتاح تكاملي"، حيث تطورت الإبستمولوجيا والقصيدة انطلاقا من نفس الفكر وكذا المشروع المتخيل.

كما أقر الكثير من تلامذته بتلك المساهمات الفريدة والعظيمة التي رسخها الأستاذ الكبير داخلهم، وذلك من خلال الحرية التي يحملها قد عمل على إلهام وتقوية الشباب وربما كان ذلك تعبيرا عن الصدق والجدية المميزان لإشغالات باشلار، حيث يتجلى ذلك في درسه الأخير بالسوربون قائلا: " (لن أترك هذه السوربون بقلب مبتهج، لقد وهبت نفسي للتدريس)"[1].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص154.

وربما هذا الحس الأخلاقي المتميز هو ما أعطى لغاستون باشلار قوته وأصالته وفرادته.

لامس الفيلسوف باشلار الكتابة بسعادة حيث يعرض مجموعة من الومضات أكثر من كونها تآليف، حيث رصع أسلوبه بإحالات إبداعية، و بالرغم من أستاذيته وتكوينه في الفيزياء والكيمياء، "أعلن باشلار بصراحة أن الفلسفة دراسة الإنسان الأدبي، لأن هذا الإنسان هو حصيلة التأمل والتعبير وكذا الفكر والحلم."[1]

لذلك عمل على تنسيق كتبه بإنبثاقات شعرية متعددة إستعارها من الشعراء الأكثر إنتقاءا.

*شكل كتاب " التحليل النفسي للنار" المقدمة النظرية والمنهجية للرباعي الكوسمولوجي: النار، الماء، الهواء و الأرض. فقد وضع غاستون باشلار رسمه المنجز انطلاقا من النار، الشيء المتخيل بامتياز والغائب عن اهتمامات العلم المعاصر.

ثم كرس باشلار أعماله بشكل متوال للماء، الهواء والأرض، حيث وظف الفيلسوف في سبيل هذه المغامرة الجديدة مئات الكتب الأدبية والشعرية وذلك لملامسة مفهوم للخيال.

في هذا الإطار تم مع كتاب" الماء والأحلام" الإعلان عن ثلاث أطروحات أساسية ستؤسس كل المشهد الباشلاري.

1- عدم إمكانية اختزال الخيال إلى الإدراك أو الذاكرة، يتبع ذلك التأكيد على أن الصورة ليست إعادة إنتاج ثانية.

2- حلم اليقظة الذي يتمحور حول الصورة، ينتج فلسفة للسعادة وبالتالي سيدخل الفكر الباشلاري مبدأ اللاواقع.

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص155.

3- "التحليل النفسي غير مؤهل لإدراك دينامية الصورة ولا لإدراك قوتها التحريرية المبدعة والخلاقة"[1].

*إن الأعمال الأخيرة التي ألفها باشلار: شاعرية حلم اليقظة، شعلة قنديل وشاعرية المكان، تمثل تطويرا نظريا ومنهجيا بالشكل الذي تصوره منذ بداية اهتماماته النقدية والأدبية، حيث تحول جذريا من دراسة تاريخ العلم إلى اختراق فضاءات القصيدة.

تقول شهادة باشلار نفسه:" (حينما انتقلت من تجربة تدريس العلوم إلى الفلسفة، لم أحس بأنني سعيد كليا كما كنت أتوخى، بحثت بلا جدوى عن مبرر عدم رضاي إلى اليوم الذي سمعت فيه طالبا يتكلم عن عالم مبستر، وذلك في المحيط المألوف للأعمال التطبيقية بكلية ديجون. لقد كان ذلك إضاءة بالنسبة لي، حيث الأمر إذن، هكذا: إن إنسانا لا يمكنه أن يكون سعيدا في عالم معقم، يجب علي بالأحرى العمل على تفريغ و تكثير الميكروبات فيه حتى أنقل إليه الحياة، سارعت إلى الشعراء و تموضعت في مدرسة الخيال)"[2]،حيث منح الشعراء لتجربة نظام الصورة بعدا أكثر عمقا وتحررا.

تمت القطيعة بشكل نهائي مع التحليل النفسي، وتبنى باشلار مطلقا المنهج الظاهراتي لأنه القادر على تمثل الصورة في أبعادها الحلمية وقوتها الإبداعية وكذا تعدديتها الإيحائية، يقول في هذا الإطار: " (نطلب من قارئ القصائد أن لا يأخذ صورة ما كشيء بل وحتى بديلا عن هذا الشيء، ولكن أن يتناولها في حقيقتها النوعية، لذلك عليه الربط منهجيا بين فعل الوعي المانح بإنتاج الوعي الأكثر زوالا أي: الصورة الشعرية)"[3].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص164-165.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص162-163.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص165-166.

ووحدها القراءة تمكن القارئ والمبدع على السواء من إلتقاط هذا المنفلت باستمرار لذلك لم يتوقف باشلار على أن يحدد نفسه كقارئ شره حيث يشبه عالمه المتخيل بخزانة ضخمة جدا. أظهرت أعمال هذا الفيلسوف الفذ، خاصة المتعلقة منها بالنقد الأدبي أن مشروعه توخى الوقوف على هذه السيادة الشعرية المستقلة، حيث الكلمات صور كذلك. فالأدب مفتاح للكون الباشلاري بينما تكون الصورة تمهيدا لإبداع الجمال.

المقالة النقدية الأدبية السادسة

التحليل النفسي للنار أو البحث

عن حدود جديد للمنهج الباشلاري

بقلم: سعيد بوخليط

المقالة النقدية الأدبية السادسة:

التحليل النفسي للنار أو البحث عن حدود جديدة للمنهج الباشلاري

بقلم: سعيد بوخليط

تمثل المقالة العمل الأول من القسم الثاني للكتاب الذي يحمل عنوان "قراءات" وهي مقاربة نقدية للباحث بوخليط في قراءته لكتاب غاستون باشلار– التحليل النفسي للنار– مظهرا رغبة الفيلسوف في أن التحليل النفسي يساهم كثيرا في المعرفة الموضوعية والتي أكدها باشلار قبل ذلك في كتاب تشكل الفكر العلمي.

وقد احتوى المقال على عدة آراء نقدية أدبية منها:

1– أسس النقد الباشلاري:

أكد سعيد بوخليط أن النقد الباشلاري في المرحلة الأولى قد استند على اكتشافات التحليل النفسي، وذلك في بدايات إهتماماته الإبداعية الأدبية.

هاته الاكتشافات التي مثلت الإرهاصات الأولية لمشروعه الفكري في دراسته العناصر. حيث "حاول البدء بإزالة كل التصورات الخاطئة التي تغلف رؤينا للنار"[1]، فقام بتحليل نفسي لها، كوسيلة معرفية تمكننا من بلورة تصورات موضوعية لها، تقطع مع الماضي الغير علمي لكل المفاهيم التي أعطيت لها. " وبمعنى غير مباشر تجاوز الرؤى والأحاسيس الذاتية المستندة إلى أحكام قبلية خاطئة"[2].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص111.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص111–112.

وقد لمح الباحث بوخليط إلى أن كتاب التحليل النفسي للنار، كان الأساس الذي وقف عليه باشلار لتوجيه أفقه الفكري نحو الممارسات النقدية. كما حمل هذا الكتاب في طياته ملامح القطيعة بين أبحاثه في العقل العلمي، وتلك التي ستتوخى الإنسان الحالم والشاعري.

2- تعارض العلم والقصيدة:

يتأسس الفهم الموضوعي على عملية فكرية تتطلب التيقظ والاحتراس، كما أنها تأخذ طابع التهكم و السخرية.

ذلك يفترض التجرد من القيم والأحاسيس الذاتية لإدراك حقيقة الأشياء، يقول باشلار في هذا السياق: "(إن محاور القصيدة والعلم متعارضة. كل ما تطمح له الفلسفة هو جعلها متكاملين، وتوحيدهما باعتبارهما متناقضين جدا، يجب إذن مقابلة الفكر الشعري الصريح مع الفكر العلمي الصامت، والذي بالنسبة إليه النفور السابق احتراس سليم)"[1].

ومثل على ذلك بتأكيده أن النار لم تدرس بشكل موضوعي أبدا، وهو بذلك أفق لم يتحقق لأن الإثارة التي تحدثها النار تأخذ دائما بالعقول الأكثر صرامة واستقامة وبالتالي تشتغل داخلنا النوازع و الأحاسيس الشعرية وكذا أحلام اليقظة.

3- التحليل النفسي للنار:

تكلم بوخليط كثيرا عن النار خلال مقاله، مبرزا أنها ظاهرة ذات خواص متناقضة ومتعددة. تحتم افتراض منهجية تقوم على الجدل، انطلاقا من الثنائية الكبيرة التي تحيط بها. فبقدر ما تحرقنا فإنها تضيئنا، وهما قطبان كبيران تتوالد عنهما كل القيم الأخرى " إنها حميمية وكونية تعيش في قلبنا كما تعيش في السماء، ومن بين كل الظواهر فإنها حقا

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص113.

هي الوحيدة التي يمكنها الحصول أيضا وبشكل واضح على القيمتين المتعارضتين: الخير والشر"[1].

وبخلاف العناصر الكوسمولوجية الأخرى، فإن النار تشكل عنصرا بإمكانه تقديم تفسيرات مختلفة، بحسب تعدد واختلاف حقول ومجالات الإشتغال الإنساني.في جراء ذلك أكد سعيد بوخليط تأثر باشلار في هذا الكتاب بالمنحى العقلاني و بالموضوعية، حيث نظر إلى صور و حدوس النار بنزعة علمية، وفق المناخ المعرفي الذي وضع نفسه داخله. وقد كان من الواجب حسبه القيام بتحليل نفسي للنار، وذلك للوقوف على الحقيقة الموضوعية السليمة لها. وحينما يطرح التساؤل عن ماهية النار تكون الأجوبة في الغالب تحصيل حاصل لدى المثقفين وحتى العلماء.

وهي تكرار لا واع لنظريات فلسفية قديمة، تمثل عوائق إبستمولوجية تستند إلى قراءات بدائية ذات طابع ميتافيزيقي، لتأخذ النتائج بعد ذلك صفة التسرع، وتفتقد شروط الفكر العلمي الصحيح.

فرغم تراكم الدراسات المرتبطة بالنار، إلا أن مجموع نتائجها خاطئ، ونظرا لعجزها عن التخلص من المعطيات المعرفية القديمة، التي لامست حتى الشعراء والأدباء فإن تلك العوائق الإبستمولوجية تخلط عندهم الأفكار بالأحلام وينتفي عندهم البعد الموضوعي. فمن الضروري أن يثابر كل واحد منا على تقويض اعتقاداته الذاتية غير المنتقدة وأن يتعود على التخلص من صلابة عادات الفكر التي تشكلت بتأثير من التجارب المألوفة و" على كل واحد منا كذلك، أن يبدد بعناية أكثر مخاوفه ومراعاة للحدوس الأولى. وبمعنى آخر، علينا

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص116.

تجاوز منظومة الأحكام الذاتية و المقابلية التي يؤسسها الفكر المهيمن والثقافة الاجتماعية"[1]. لنستطيع إدراك الموقف الموضوعي، والوصول إلى حقيقة الشيء.

فالنار المنحصرة في الموقد مثلا، عبارة عن المجال والموضوع الأول لأحلام يقظة الإنسان، فهي دعوة للاستراحة ورمز للاسترخاء والهناء، والجلوس أمامها يثير مجموعة من أحلام اليقظة التي تدفع بالحياة إلى حدودها القصوى وتؤسس أفقا ضخما للإبداع.

4- النقد الموضوعي الباشلاري:

وصل الباحث المغربي إلى أن العمل الحالي- حسب باشلار- يمكن أن يقدم نفسه كفيزياء أو كيمياء لأحلام اليقظة.فهو يقنن شروطها الموضوعية، لذلك يجب أن يهيئ الأدوات النظرية و المنهجية من أجل نقد موضوعي بالمفهوم الدقيق للكلمة، حيث يتجلى ذلك في:

* على كل مبدع وضع رسم تخطيطي يشير إلى معنى وتماثل وانتظام مجازاته وعلى النقد الموضوعي إظهار أن " المجازات ليست مجرد أمثولات تنطلق كشهاب، لكي تندلع في السماء وهي تفرض دلالاتها، ولكن على العكس من ذلك فإن المجازات تستدعي وتتماثل أكثر من الأحاسيس إلى أن فكرا شاعريا هو ببساطة وبلا قيد تركيب للمجازات"[2].

* الرسم التخطيطي الشعري ليس رسما ولا بيانا، بل عليه أن يجد وسيلة تدمج الترددات و الالتباسات والتي وحدها يمكن أن تحررنا من الواقعية.

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص115.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص132.

* الرسم التخطيطي الشعري، " عليه أن يظهر ويبين تفكيكا للقوى، وذلك بالقطع مع مبدأ وحدة التركيب"[1].

5- القيمة المعرفية والفكرية لباشلار:

تتجلى القيمة المعرفية والفكرية لباشلار بالأساس في خاصية الانفتاحية الكبرى التي أعطته الرؤية النقدية للتأسيسات المفهومية الكلاسيكية، وصياغة رؤى أخرى قادرة على خلق وإضافة دينامية جديدة للروح الإبداعية.

و يمكن أن تتدرج مقاربته لبعد مفهومي جديد، وهو يخضع النار لمنظوره النفسي هذا المفهوم هو ما اصطلح عليه بـ" التسامي الدياليكتيكي"، والذي يختلف في صيرورته عن التصور الكلاسيكي للتسامي. " فالتسامي بالنسبة لباشلار هو مجرد تعويض عامودي هرب للأعلى"[2] و"التسامي في الشعر يعلو فوق سايكولوجية الروح الشقية، وذلك لأنها حقيقة لا يمكن إنكارها أن الشعر يمتلك هناءته الخالصة مهما كان حجم المأساة التي يصورها"[3]. ولكنه "بقدر ما يعلو عن الروح إلا أنه يوقظها ويحفزها، وفعل اليقظة/ التحفيز هنا يستمد عنفوانه من الذكرى المرتبطة بالمكان"[4]. و يمكن أن نستشف المعطيات البيداغوجية لهذا المفهوم الجديد للتسامي في:

1- إن التسامي في المنظور الباشلاري كما جاء به سعيد بوخليط لا يأخذ بعدا مرضيا بل هو ضرورة طبيعية في مسار الذات السيكولوجي، يقول باشلار في هذا السياق:

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص132.

[2] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ص27.

[3] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ص27.

[4] عبد العزيز غوردو: فينومينولوجيا المكان- ما لم يرد عند باشلار، مطبوعات الهلال وجدة، ط1، ص13.

"(فيما يخصنا، فإن تطبيق مناهج التحليل النفسي داخل نشاط المعرفة الموضوعية، أوصلنا إلى النتيجة التالية، بأن الكبت نشاط طبيعي ومفيد، أو بشكل أفضل هو نشاط مرح. لا أفكر علميا دون كبت، وهو أصل الفكر اليقظ المتبصر المجرد)"[1].

2- التأويل الواعي للكبت، وبالتالي تجاوز علم النفس الكلاسيكي، ولعل هذا التقويم الجديد يعطي الذات قدرة كبيرة على إدراك الخطأ والعمل على تقويمه علميا وموضوعيا.

وقد أكد بوخليط على تأسيس باشلار لمنهجية جديدة للوقوف على طبيعة هذا التسامي الجديد تقوم على وضع المدهش والعجيب والمثير مكان الضروري و الأداتي.

لقد حاول الباحث والناقد بوخليط في حقيقة الأمر التركيز على كتاب التحليل النفسي للنار، بما يحمله من قيمة نوعية فاصلة بين محطتين كبيرتين في حياة الفيلسوف، الذي قام خلاله بتحليل نفسي للمعرفة وإظهار بعض العوائق الإبستمولوجية التي تعرقل الإدراك السليم والموضوعي للأشياء و"بمنهج أبعد ما يكون عن المنهج المعروف، لأن ما كان يحلله ليس بشرا بل عنصرا ماديا"[2].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص133.

[2] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ص14.

المـقدمـة:

عرف النقد الأدبي الحديث مجموعة من التحولات الكبرى، لعل أهمها ظهور خطاب نقدي يجعل من النقد نفسه موضوعا للتحليل والتفكير.

ففي الدراسات الحديثة حدد النقد الأدبي بثلاث أقسام وكان هذا التخصص أحدها:

- النقد الأدبي التطبيقي.
- النقد الأدبي التنظيري.
- نقد النقد الأدبي.

إن إشكالية نقد النقد الأدبي لهي جديدة كل الجدة في ثقافتنا الأدبية والنقدية على حد سواء وبما أنه مفهوم، علم، إيديولوجية واختصاص فرضه النقد الأدبي نكتشف يوما بعد يوم الحاجة إليه، لاسيما في ضوء النقص الحاد الذي تعانيه مسيرة الحركة النقدية والأدبية.

والكتابة في نقد النقد الأدبي تكاد تكون معدومة لدينا باستثناء شذرات متفرقة ومبعثرة، وهذا ما جلبنا في عالم كتب النقد لانتقاء واختيار كتاب غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-.*

بالإضافة إلى أن المشروع الفكري الباشلاري ينقسم إلى شقين:

الشق الأول حاول خلاله تأسيس نظرية متكاملة شاملة تلامس مجموع الإشتغالات الإنسانية، خاصة الجانب العقلاني المجرد كما تبلور مع العلوم المنطقية والصورية.

أما الشق الثاني، فهو ارتبط بالأحاسيس الجمالية والفنية، الذي تتسامى به القصيدة الشعرية إلى مستوى أخر، هذا الشق الذي كنا في غفلة منه، ولم نتبين ذلك إلا بعد دراسة كتاب الناقد سعيد بوخليط الذي يمثل موضوع بحثنا.

---

*سعيد بوخليط :غاستون باشلار-نحو نظرية في الأدب-،دار الفرابي،بيروت، لبنان، ط1، 2011.وهو مصدر بحثنا.

لقد تتبعنا في قراءتنا المنهجية النقدية العلمية معتمدين على التحليل، الاستنتاج الاستدلال والترتيب للمبادئ والآراء النقدية الأدبية.

وجاء البحث موزعا على مقدمة، تمهيد بعنوان الناقد وكتابه وسبع مقالات نقدية أدبية، تناولنا خلال التمهيد دراسة نقدية حول كتاب غاستون باشلار نحو نظرية في الأدب ثم تقديم للفيلسوف غاستون باشلار، ثم تقديم للمترجم الناقد سعيد بوخليط بالإضافة إلى تحليل سيميائي للغلاف وفك شفرة العنوان.

في حين عالجنا مختلف الآراء النقدية الأدبية خلال كل مقالة نقدية داخل الكتاب بداية من المقالة الأولى التي جاءت على شكل مدخل للكتاب، ثم المقالة الثانية التي تحمل عنوان(غاستون باشلار والشعراء)، فالمقالة الثالثة (الفيلسوف والشاعر)، المقالة الرابعة (باشلار والشعراء: حول صورتين للوي غيوم)، المقالة الخامسة (باشلار عند العرب) المقالة السادسة(التحليل النفسي للنار، أو البحث عن حدود جديدة للمنهج الباشلاري)، في حين حملت المقالة السابعة عنوان(غاستون باشلار: عقلاني رومانسي)، وأنهينا بحثنا بخاتمة شيقة.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في قراءة كتاب الناقد سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، كون المقالات النقدية للكتاب صعبة ومركزة تشرف على الفلسفة، لأنها متعلقة بفيلسوف مفكر حاول جمع العلم بالأدب وفق منهجية واحدة، هذا ما خلق لنا صعوبة لاستنباط الآراء النقدية الأدبية التي تتضمنها المقالات.

وفي الأخير نتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ المشرف بن قرين عبد الله احتراما، عرفانا وتقديرا لإشرافه العلمي على بحثنا،كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير للمناقشين الدكتور زهار محمد والدكتور محمد الصديق باغورة.

تمـهيد:

النــاقد وكتـابه

1-تقديم الكتاب

2- تقديم الفيلسوف غاستون باشلار

3-تقديم الناقد

4- التحليل السيميائي لعتبات النص:

أ- الغـلاف

ب- العنـوان

1- تقديم الكتاب:

يمكن عد مشروع" باشلاريات" القرائي الذي يطرحه الدكتور سعيد بوخليط بين القارئ العربي نقلة فكرية جريئة، تقود إلى عوالم فلسفية نقدية ومعرفية مختلفة تماما عما عهد من كل الطروحات الفكرية المعاصرة حيث يواصل الباحث المغربي سعيد بوخليط مغامرته الفكرية وإبحاره في عوالم الفيلسوف الفرنسي" غاستون باشلار" بإصدار كتاب جديد بعنوان: "غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-"، الذي قدم خلاله الركائز الأساسية للمشروع النقدي للمفكر الفرنسي الكبير غاستون باشلار.

وتبرز قيمة اختيار الباحث بوخليط للنصوص التي ترجمها في عمله الحالي دخولها في إطار مشروعه وضع جمهور أكاديمي اللغة العربية ضمن سياق مختلف المنظومات لثقافات وجنسيات: عرب، أوروبيون وأمريكيون.

ويعد كتاب" غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-" العمل الرابع ضمن سلسلة باشلاريات، صدر عن دار الفرابي بيروت سنة 2011، يحتوي على 191 صفحة من الحجم المتوسط.

ينقسم العمل الذي بين أيدينا إلى ثلاثة أقسام بالإضافة إلى مقدمة مدخل وخاتمة.

وقد كانت المقدمة بقلم الباحثة" تيريزا كاستيلا و . لاوس" (Teresa Castelao Lauless) المولودة في مدينة لشبونة البرتغالية، حاصلة على المتريز في الفلسفة، ثم المتيريز والدكتوراه في دراسات العلوم والتكنولوجيا من جامعة فرجينيا ثم أستاذة " بالولايات المتحدة، حيث تدرس بجامعة ميشيغان "Michigan" فلسفة العلم والتاريخ العلم والإبستمولوجيا والعلم والدين..."

عضو نشيط في جمعية أصدقاء غاستون باشلار وقد أصدرت في السياق بعض الأبحاث التي تلامس فكر باشلار خاصة في جانبه الإبستيمولوجي".[1] مثل:

(La Géation et le développement de La phénoménotechnique dans L'oeuvere de Gaston Bachelard cahier Gaston Bachelard , numero1,1998)

وجاء القسم الأول من الكتاب تحت عنوان "ترجمات" مقسم إلى مجموعة من المقالات النقدية:

* المقالة الأولى بعنوان غاستون باشلار والشعراء بقلم الشاعر لوي غيوم (Louis Guillaume)"وهي مقاربة تشكل في حقيقة الأمر شهادة مثيرة عن حياة وشخصية باشلار، وإظهارا لمختلف اهتماماته".[2]

* المقالة الثانية كانت بعنوان الفيلسوف والشاعر بقلم جون ليبيس (Jean libis)، وتتم بشكل جيد وكبير مختلف الإشارات التي نوه إليها الشاعر لوي غيوم حيث حاول ليبيس أن يقحمنا في بعض المقاطع من الرسائل المتبادلة بين لوي غيوم وغاستون باشلار.

* المقالة الثالثة كانت للباحث مارسيل شيتل (M.shealtel) وهي بعنوان باشلار والشعراء: حول صورتين للوي غيوم، حيث أتمت وواصلت هذه المقاربة بشكل منطقي ومنهجي شهادات كل من غيوم وليبيس، " توخي مارسيل شيتل الحديث عن توظيف باشلار لمجموعة من صور الشعراء وخاصة تلك التي جاءت بها قصيدة غيوم" [3].

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص13.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص11.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص13.

* المقالة الرابعة أطل علينا من خلالها الباحث العربي عمور الشارني (Amor cherni) وقد عنونها بـ: باشلار عند العرب، حيث قرب لنا " الحضور المحدود لكن العميق لكتابات باشلار في العالم العربي. يمكنني القول ودون مبالغة أن هذه المقالة تشكل مرآة لتناول باشلار في العالم بأكمله"[1].

ثم يأتي القسم الثاني من الكتاب بعنوان: " قراءات" وهو قسم للمقاربات النقدية.

يبدأ هذا القسم بقراءة للباحث سعيد بوخليط لكاتب غاستون باشلار– التحليل النفسي للنار (psychanalyse de feu) أو البحث عن حدود جديدة للمنهج الباشلاري.

في حين تبرز في العمل الثاني من هذا القسم قراءة جديدة لكاتب غاستون باشلار: عقلاني رومانسي (Gaston Bachelard: un Rationaliste romantique) لجون ليبيس وباسكال نوفل، الذي مثل جانبين لغاستون باشلار وهما مدخل لحياته وعمله.

في حين حمل القسم الثالث والأخير من عمل سعيد بوخليط عنوان "متابعات"، وهو عبارة عن حوار أجراه مع الباحثة الأمريكية تريزا كاستيلا و– لاوس حول مجهودها المبذول حتى يشع فكر باشلار في أوربا وأمريكا ومدى حضور عمله الإبستيمولوجي في أمريكا الشمالية.

ثم تلت هذا الحوار خاتمة وتعاريف.

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار–نحو نظرية في الأدب–، ص14.

" و باختصار يمثل العمل الحالي لسعيد بوخليط محاولة تستحق التقدير لإعطاء جمهور اللغة العربية نبذة عن حياة ومشروع غاستون باشلار، وتقريبنا من تأملات يمكنها أن تثير مفكري اليوم"[1].

حيث تبنى إخراج أعمال باشلار إلى القارئ العربي ليرسم بذلك أفقا اصطلاحيا وفهميا يبنيه من خلال التقصي والتحليل لعدد من مؤلفات غاستون باشلار، ويغطي جانبا عميقا من الفهم الجمالي الذي تطرحه النظرية الباشلارية- إذا صح التعبير- معلنا بذلك ميلادا للتواصل بين فكر باشلار وفكر القارئ العربي، الذي سيجد فيه عالما رحبا يسوده التأمل في الكون الداخلي(الإنسان) والخارجي (العالم).

وقد نجح بوخليط رغم صعوبة المهمة في تقديم كتابة جمالية فلسفية متكاثفة للقارئ العربي عبر أقسام هذا الكتاب في أسلوب علمي سلس وواضح، حيث سعى باشلار سعيا حثيثا إلى تأسيس نظرية جديدة للخيال وبناء يتناول النتاج الأدبي خاصة الشعري منه بطريقة مختلفة تظهر الوجه الجمالي الأعمق للنص مهما كانت هويته ومهما تباين زمنه هذه الجمالية ستمنح القارئ فرصة صناعة الإبداع عندما تتجسد أمامه فيتواصل معها من خلال قراءة كونه الداخلي الذي تمثل بطريقة ما في سكنات وحركات النص، وعبر ارتحالات النص وتسلله إلى القارئ يخلق الخيال ويولد عالم شعري آخر به يستمر الإبداع.

2- تقديم الفيلسوف غاستون باشلار:

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص18.

غاستون باشلار" رجل فذ، وكذلك سيرة حياته، أما عقله فهو الباهر بحق"[1] ولد في بلدة صغيرة تسمى « Bar-sur-Aube» في"منطقة شامبانيا وذلك يوم27 يونيو1984"[2] "في أسرة من الإسكافيين وزراعي الكرمة"[3]. حيث" قضي طفولته وشبابه وسط الحقول والجداول وهو ما وجه تفكيره العام"[4]. وقد تابع دراسته بنفس البلدة إلى غاية 1902 حيث أصبح معيدا في مدرسة ثانوية هي "Gezanne".

في عام 1904 وهو في سن العشرين ولج قطاع البريد والتلغراف، وقد تابع دراسته إلى جانب عمله،" فعمله أثناء الليل مكنه من التعلم نهارا"[5].

حصل عام 1912 على الإجازة في الرياضيات، "وقد جند باشلار في الفيلق الثاني عشر للخيالة. تزوج من مدرسة ريفية"[6]، غير أن المرأة الشابة "جين" التي ارتبط بها ومباشرة بعد أن أنجبت ابنته الوحيدة "سوزان" رحلت عن هذا العالم شهر يونيو 1920. "وفي نفس الحقبة عين أستاذا للفيزياء والكيمياء في بلدته الأصلية"[7] إلى غاية 1930، بالإضافة إلى دراساته الفلسفية. وقد حصل بعصامية على شهادة الإجازة 1920، وشهادة التبريز سنة 1922 ونال شهادة الدكتوراه من كلية الآداب جامعة باريس بعنوان(المعرفة التقريبية).

---

[1] غاستون باشلار: جمالية المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1984،ص13.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار، نحو نظرية في الأدب، ص140.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار-نحو نظرية في الأدب، ص31.

[4] سعيد بوخليط: غاستون باشلار، نحو نظرية في الأدب، ص141.

[5] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب،ص31.

[6] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص31.

[7] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص31.

و"في عام 1930 عين أستاذا لفلسفة العلوم بجامعة ديجون "[1]، "ثم سنة 1940 انتقل مدرسا إلى السوربون"[2]، وشغل كرسي تاريخ الفلسفة والعلوم.

سنة 1955، حصل على تقاعده وانتخب عضوا بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية.

"ثم حصل على الجائزة الوطنية الكبرى للآداب"[3] سنة 1961.

لقد بقي باشلار أرملا مدة طويلة، "يعيش بشارع (La Montagene sainte Genevieve)

في شقة صغيرة مكتظة بالكتب مع ابنته التي هي كذلك أستاذة للفلسفة"[4]، التي"واجهت كثيرا من أجل إدخال الكهرباء إلى شقتها، ولم يقبل أبدا الانزواء في صالة سينمائية"[5].

وفي 16 أكتوبر 1962 رحل عنا ذلك الكائن الخارق الأكثر إنسانية والأكثر شاعرية من بين كل فلاسفة عصرنا الكبار عن عمر الثامنة والسبعين عاما.

وقد دفن يوم 19 أكتوبر 1962 بمسقط رأسه وببلدته الأصلية (Bar– sur–aube).

لقد كان متواضعا إلى حد أن قلائل من معاصرين يتذكرونه حين كان شابا، يشق طريقه ببطء من الوظائف الحكومية الصغيرة إلى أستاذ الفلسفة في جامعة السوربون، إن باشلار

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص145.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص31–32.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب، ص32.

[4] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–،ص33.

[5] المصدر السابق:33، سعيد بوخليط، غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص33.

الذي سوف يتذكرونه هو ذاك الشيخ الكيس ذو اللهجة الريفية الواضحة المحبوب من تلاميذه الذي كان يكرس نفسه لهم بكرم بالغ.

أما "بالنسبة لجيرانه فهم يتذكرونه في الأساس بكونه ذلك العجوز الذي كان يجب أن يشتري حاجته من اللحم والسمك بنفسه"[1].

غاستون باشلار، "الذي يمكننا تسميته أكثر الشعراء فلسفة، والفيلسوف الأكثر شاعرية"[2] ترك عددا كبيرا من المؤلفات يمكن أن نحصره هذه الأعمال في الكتابات التالية:

- دراسة في المعرفة التقريبية 1928.
- دراسة تطور مسألة فيزيائية: الانتشار الحراري في الجوامد 1928.
- القيمة الاستقرائية للنسبية 1929.
- التعددية المتماسكة للكيمياء المعاصرة 1932.
- الفكر العلمي الجديد 1934.
- حدس اللحظة 1935.
- جدلية الزمان 1936.
- تجربة المكان في الفيزياء المعاصرة1937.
- نشكل الفكر العلمي 1938.

[1] غاستون باشلار: جماليات المكان،ص13.

[2] سعيد بوخليط:غاستون باشلار،نحو نظرية في الأدب،ص31.

وبعد أن اهتم بفلسفة العلوم في الجزء الأول من حياته نراه يتحول إلى دراسة التخيل الشاعري وفلسفة الجمال والفن إذ إبتدءها مع. التحليل النفسي للنفسي للنار عام 1937 ثم الماء والأحلام عام1942، فالهواء والأحلام دراسة في خيال الحركة 1943.

-الأرض و أحلام يقظة الاستراحة 1948.

-شاعرية المكان 1957.

-شعلة قنديل1961.

-نهاية إلى شاعرية أحلام اليقظة 1961.

وهناك بعض الأعمال أصدرتها مجموعة من الناشرين بعد موت الفيلسوف منها:

- الحق في الحلم 1970.
- الالتزام العقلاني1972.
- دراسات 1970.
- شذرات شاعرية النار 1988.

3- تقـديم النـاقـد:

سـعيد بـوخليط كاتـب وباحـث مـن المغـرب الأقصـى: حاصـل علـى دكتـوراه حـول (الخطـاب النقدي والأدبي عند غاستون باشلار).

عضو: - اتحاد كتاب المغرب.

- جمعية أصدقاء غاستون باشلار (ديجون).

- جمعية أصدقاء الشاعر لوي غيوم (باريس).

له عدة مقالات في مجموعة من المثابر الفكرية والإعلامية، صدر له:

- غاستون باشلار:عقلانية حالمة،منشورات جريدة الأفاق المغربية،مراكش،2002.

- غاستون باشلار: نحو الأفق للحلم،دار أبي رقراق للنشر،الرباط،2005.

- غاستون باشلار: بين ذكاء العلم وجمالية القصيدة، منشورات فكر،الرباط، 2009.

- العقلانية النقدية عند كارل بوبر (تقديم وترجمة)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،2009.

في انتظار النشر:

- الخطاب النقدي عند غاستون باشلار وشعرية العناصر الأربعة.

4- التحليل السيميائي لعتبات النص:

لم يول النقاد والدارسون اهتماما لعتبات النص إلا في الدراسات السيميائية المعاصرة حيث اهتمت السيميائية بكل ما يحيط بالنص من عناوين ومقدمات،هوامش، وتنبيهات وذلك بعدما تبين أنها من المفاتيح المهمة في اقتحام أغوار النص وفتح ومغاليقه ومجاهيله، فغدت هذه الدراسات لا تخلو من إشارات ولو باقتضاب إلى العتبات النصية فهي تشكل محيطا فنيا لا يقل أهمية عن المتن، إذ يبدو من الصعب أن يقوم أو يقدم المتن وحده عاريا من هذه العتبات،"ولعل ولوج النص قد يكون مشروطا بالمرور عليها، لكي يستدل بها في رحلة القارئ عبر المتن الحكائي، عن طريق المعايشة العميقة لهذه العتبات والتي تتمظهر في العناوين المقدمات، الذيول، الملاحق، كلمات الناشر، دور النشر والكلمات الموجودة على الغلاف إلى جانب الهوامش والشروح والتعليقات "[1].

أ- التحليل السيميائي الغلاف:

الغلاف أو كما يسميه البعض العتبة الأولى للنص، سمة للكتاب وليس قبرا باردا له فبنوع من الاستباق وبالعلامات الثلاث المؤثثة له: اللوحة التشكيلية، عنوان الكتاب واسم المؤلف، يمثل الغلاف دلالة حقيقية وأخرى مجازية في آن واحد، ترتبط مع المتن فيكون تمهيدا أو تصريفا لإيحاء رمزي له. إن من شروط تصميم الغلاف الفعال، أن يكون قادرا على جذب الانتباه وإثارة الاهتمام، ولتحقيق هذه الغاية، فإنه يتطلب خاصيتي التناسب والمرونة البصرية لتحقيق أفضل تمركز بصري ممكن، من شأنه أن يساعد على التحكم في

[1] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي من السرد إلى التبئير، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط2،2001،ص 114.

حركة العين التي تنجذب نحو الأشياء ذات الأحجام الكبيرة والأشكال البارزة والصور المحفزة والألوان المثيرة.

وبناءا على ما سبق لابد لصورة الغلاف الانضواء ضمن نسق معين يمنحها القدرة على إنتاج الدلالة، حيث نجد "داخل اللوحة الفنية(لوحة الغلاف) مجموعة من الرسوم والخطوط والألوان قد يكون لكل رسم أو خط أو لون مدلوله الخاص، ويجب على هذه الأنساق مجتمعة أن تخرج لنا دلالات ترتكز إلى خلفية ثقافية"[1].

وبالنظر إلى غلاف الكتاب المحوري للبحث وهو: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب– لسعيد بوخليط نجد:

شريطا أخضر اللون أعلى وأسفل غلاف الكتاب، وهو شريط دعائي لمنشورات الإختلاف مع دار الفرابي.

ثم يلي الشريط من أعلى اسم الكاتب بلون أسود وبدون أن حلية مثل الدكتور.

لنقف أمام صورة منتقاة للفيلسوف غاستون باشلار بشعر كثيف، عفوي وطبيعي، ووجه عجيب يشع طبيعة، يخفي ضحكة أو قهقهة ترسمها علامات الابتسامة على الخدين وتبرزها عينيه اللتين تتوقدان دهاءا وذكاءا، بالإضافة إلى لحية طويلة تشبه لحية نبي.

فصورة غاستون باشلار تجبرك على الانجذاب نحوها فليس من المعتاد أن نرى عقلا كبيرا وفيلسوفا عظيما يختفي وراء مظهر لإنسان بسيط ومألوف.

---

[1] سعيد بنكراد: السيميائية (مفاهيمها وتطبيقاتها)، منشورات الزمان، الرباط، 2003، ص35.

ثم نجد أسفل الصورة عنوان الكتاب مع بروز جلي لاسم غاستون باشلار بخط عريض وبلون أسود واضح للعيان.

في حين نجد ظهر الكتاب نقد للعمل الحالي لسعيد بوخليط بقلم الباحثة الأمريكية تريزا كاستيلاو – لاوس، يليه تقديم للباحث المترجم سعيد بوخليط.

ب- التحليل السيميائي للعنوان:

العنوان هو أحد المفاتيح الأولية والأساسية التي على الباحث أن يحسن قراءتها والتعامل معها. "إذ يتصدر اللوحة بالنسبة للغلاف والصفحة بالنسبة للقصيدة"[1]، "وهو المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص، وتسهيل مأمورية الدخول إلى أغواره وتشعباته الوعرة "[2].

و"العنوان هو أول لقاء مادي محسوس بين القارئ والكاتب الذي يجهد نفسه في اختيار عنوان يلائم مضمون كتابه، لاعتبارات فنية وجمالية ونفسية وحتى تجارية"[3].

"فللعنوان الصدارة ويبرز متميزا بشكله وحجمه، وهو أول لقاء بين القارئ والنص وكأنه نقطة الافتراق حيث صار هو آخر أعمال الكاتب وأول أعمال القارئ"[4].

أما محمد مفتاح فيرى أن "العنوان يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته فهو يقدم معرفة

---

[1] بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان الأردن،ط1،2001، ص31.

[2] جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، الكويت مج 25، ع 23، يناير –مارس97،ص 90.

[3] بسام قطوس: سيمياء العنوان، ص31.

[4] عبد الله الغذامي: الخطيئة والتفكير، منشورات النادي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985، ص263.

كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه"[1].

"فبدون العنوان يكون النص باستمرار عرضة للذوبان في نصوص أخرى"[2].

وقد أعطي عنوان الكتاب موقعا استراتيجيا على الغلاف، فقد حمل اسم الفيلسوف غاستون باشلار وتم التحديد بجملة نحو نظرية في الأدب حيث يحمل دلالة واضحة في المجال النظري للأدب، أو تنظير غاستون باشلار بوصفه فيلسوفا للأدب في المجال الذهني، الفكري والفني.

[1] محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص72.

[2] الطاهر روابنيه: الفضاء الروائي في الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة– دراسة في المبنى والمعني) المساءلة، ع1 ربيع 1991، ص15.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

العنوان:

الآراء النقدية الأدبية في كتاب غاستون باشلار ـ نحو نظرية في الأدب ـ لسعيد بوخليط

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

فرع: أدب عربي
تخصص: نقد أدبي

إعداد الطالبة:
حـداد صفيـة

إشراف الأستاذ:
الدكتور: بن قرين عبد الله

السنة الجامعية: 2013/2012

قائمة المصادر والمراجع:

المصدر:

1- سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، دار الفرابي، بيروت، لبنان ط1،2011.

المراجع:

2- بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1،.2001

3- سعيد بنكراد: السيميائية(مفاهيمها وتطبيقاتها)، منشورات الزمان، الرباط،.2003

4- سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو أفق للحلم-، دار أبي رقراق، الرباط،.2006

5- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي من السرد إلى التبئير، المركز الثقافي العربي بيروت، ط2،.2011

6- عبد الفتاح الديدي: مذاهب وشخصيات- الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة-، دار الهلال، وجدة.

7- عبد العزيز غوردو: فينومينولوجيا المكان- مالم يرد عند باشلار-، مطبوعات الهلال وجدة، ط.1

8- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، منشورات النادي الثقافي، جدة، السعودية، ط1 1985.

9- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2،.1984

10- محمد الوقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، مكتبة المعارف للنشر، بيروت 1984.

11- محمد الوقيدي: ماهي الإبستمولوجيا؟، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، ط2،.1987

12- محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1987.

13- ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضافة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط1،2000.

المجلات والرسائل:

14- جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، الكويت، مج25، ع2، يناير مارس،.1987

15- الطاهر روابنيه: الفضاء الروائي في الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة دراسة في المبنى والمعنى المساءلة، ع1، ربيع .1991

16- مجلة فكر ونقد: مقال باشلار بين التحليل النفسي و المنهج الظاهراتي، ع21 سبتمبر .1999

ملـــحق

قائمة المصادر ومراجع الكتاب:

1- دومنيك لوكور: باشلار الليل والنهار، باريس، 1974.

2- سالم يفوت: فلسفة العلم والعقلانية المعاصرة، بيروت، 1996.

3- سالم يفوت: مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، الدار البيضاء.

4- سعيد بوخليط: غاستون باشلار عقلانية حالمة، منشورات جريدة الآفاق المغربية مراكش،2002.

5- عبد السلام بنعبد العالي وسالم يفوت: درس الإبستمولوجيا، الدار البيضاء،..1988

6- محمد عابد الجابري: دراسات ونصوص في الإبستمولوجيا المعاصرة، بيروت 1976-1982.

7- محمد الوقيدي: العلوم الإنسانية والايديولوجيا.

8- محمد الوقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، بيروت،1980.

9- ميشيل فادي: باشلار أو المثالية الإبستيمولوجية الجديدة، باريس.

10- Amor cherni: Bachelard dans le monde, presses universitaires de France ,2000.

11- Gaston Bachelard: la flamme d'une chandelle, P.U.F. coll. quadrige.

12- Gaston Bachelard: la psychanalyse de feu, édition Gallimard,1949.

13- Gaston Bachelard: L'eau et les rêves.

14- Gaston Bachelard: La Formation de L'esprit scientifique ,vérin paris , 1938.

15- Jean l'ibis:Bachelard et la mélancolie , L'ombre de Schopenhauer dans la philosophie de Gaston Bachelard Presses universitaires de septentrion, coll. chéses a la carte Lille,2000.

16- Jean l'ibis: Le philosophe et le poète, inbulltin de L'association des amis de Gaston Bachelard,N'5 ,2003.

17- Jeau Paul sartemL' étre et le néant, Gallimard,1943.

18- Louis Guillaume: Gaston Bachelard et les péottes, in Rssociation des amis de Gaston Bachelard , N 4 ;2002.

19- Marcel schaettel: Bachelard et les poetes: sur deusc images de louis Guillaume in cahiers Gaston Bachelard,N3.

20- Pascal Nouvel, Jean libis:Gaston Bachelard un rationaliste romantique, éditions universitaire de Dijon,1997.

ملخص باللغة العربية

يمكن عد مشروع "باشلاريات" القرائي الذي يطرحه الناقد المغربي سعيد بوخليط بين يدي القارئ العربي، نقلة فكرية جريئة تقود إلى عوالم فلسفية، نقدية ومعرفية مختلفة تماما عما عهد من كل الطروحات الفكرية المعاصرة.

فقد واصل الباحث بوخليط مغامراته وإبحاره في عوالم الفيلسوف المفكر الفرنسي غاستون باشلار، الذي اهتم بفلسفة العلوم في الجزء الأول من حياته ثم نراه يتحول بعد ذلك إلى دراسة الخيال الشعري وفلسفة الجمال، بإصدار كتاب:

غاستون باشلار –نحو نظرية في الأدب–، الذي قدم خلاله مجموعة من الآراء النقدية الأدبية داخل المقالات النقدية التي احتواها منها:

*مقاربة العلم بالأدب.

*علمنة الأدب.

*نقد الشعر عند غاستون باشلار.

*غاستون باشلار أستاذ للصور الشعرية.

*غاستون باشلار مرشد حلمي.....

وقد نجح بوخليط رغم صعوبة المهمة في تقديم كتابة جمالية متكاثفة للقارئ العربي عبر أقسام هذا الكتاب، معلنا ميلادا للتواصل بين فكر باشلار وفكر القارئ العربي.

RESUME

Le projet de lecture appelé " BACHELARIENNES " proposé par le critique marocain BOUKHLIT Said, mis entre les mains du lecteur arabe, est une idée audacieuse qui mène à des repères philosophiques critiques et cognitifs qui différent totalement des idées contemporaines.

Le chercheur BOUKHLIT a continué ses aventures dans la philosophie de Gaston BACHELARD qui s'est intéressé au début de la philosophie des sciences, puis il s'est orienté à l'étude de l'imaginaire poétique et la philosophie de l'esthétique.

Il a publié l'ouvrage " Gaston BACHELARD – vers une théorie en littérature –" dans le quel il a présenté des articles littéraires qui montrent ses opinions littéraires et ses critiques comme:

- L'approche science – littérature.
- Mondialisation de la littérature.
- Critique poétique chez Gaston BACHELARD.
- Gaston BACHELARD professeur de l'image poétique.
- Gaston BACHELARD guide de rêve….

BOUKHLIT a réussi, malgré la difficulté de la mission, de pressente une écriture belle et dense, au lecteur arabe par les parties de cet ouvrage, annonçant la naissance de continuation entre les idées de Bachelard et celles de lecteur arabe.

الخـاتمـة:

وبعد دراستنا لمقالات عمل الباحث والمترجم سعيد بوخليط، تتضح لنا بعض المعالم حول آراء وأفكار الفيلسوف غاستون باشلار فيما يخص الأدب والنقد الأدبي، وما يمكن أن أجمله من نتائج حول الناقد والمترجم المغربي المبدع نقديا.

* قام سعيد بوخليط بترجمة لأعمال باشلار ودراستها، وجمع كل ما قيل حوله من أعمال نقاد آخرين.

* إن الدارس لكل أعمال الناقد بوخليط والمتتبع لها يتوضح له بشكل جلي أن غاستون باشلار ناقد منظر للأدب بكل ما تعنيه الكلمة، فقد أخذ على عاتقه مسؤولية الأدب، خاصة الجانب الشعري منه.

* ساهم بالكشف عن الفيلسوف الشاعر أمام القارئ العربي وذلك من خلال جمع الشواهد المتناثرة حول هذا الرجل الفريد.

* سعى الباحث لعرض هذا الطرح مترجما، متأملا ومحلل للجزئيات و الكليات التي دونها الفيلسوف والعالم الفيزيائي والناقد الأدبي غاستون باشلار، وكل ذلك ضمن منهجية علمية تقارب الفينومينولوجيا إلى حد كبير، باعتبار باشلار ظاهرة فلسفية جمالية نقدية وأدبية تستحق التأمل والخضوع للبحث والقراءة.

* وضع الناقد سعيد بوخليط بين يدي القارئ العربي عملا يمثل نقلة فكرية جريئة تقود إلى عوالم فلسفية، نقدية ومعرفية مختلفة عما عهد من كل الطروحات الفكرية المعاصرة.

* قدم مشروع فكري فلسفي إنساني مختلف بكل الروحانية التأملية التي يسعى إلى تحقيقها، تحت سقف الشاعرية الباشلارية الفريدة.

* تبنى إخراج القارئ العربي من القوقعة، ليرسم بذلك أفقا إصلاحيا وفهما يبنيه من خلال التقصي والتحليل لعدد من مؤلفات باشلار.

* أعلن الناقد بوخليط ميلادا للتواصل بين فكر باشلار وفكر القارئ العربي، سيجد خلاله عالما رحبا يسوسه التأمل في الكون الداخلي (الإنسان) والكون الخارجي(العالم).

من هذا المنبر الصغير، أدعو الطلبة والباحثين للتوجه إلى الفيلسوف الشاعر بالقراءة والاهتمام والتركيز، من أجل النهوض بالحركة الأدبية والنقدية العربية، ومواكبة التطورات الحاصلة في هذا المجال عالميا.

وما أمله أن يكون قد تحقق المراد من هذا البحث، على الأقل تقديم الناقد المغربي سعيد بوخليط، والفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار، الذي كان له فضل كبير على الأدب، وأن أكون بذلك قد شحنت همم بعضهم إلى التعمق في قراءته، وبمستويات أعلى من هذا المستوى.

المشتمـــل

المقدمة ..... أ- ب

تمهيد: الناقد وكتابه 3- 15

1- تقديم الكتاب 3

2- تقديم الفيلسوف غاستون باشلار 7

3- تقديم الناقد 11

4- التحليل السيميائي لعتبات النص 12

أ- الغلاف 12

ب- العنوان 14

1- المقالة النقدية الأولى 16- 23

1-1- مقاربة العلم بالأدب 16

1-2- علاقة الحلم بالعالم 17

1-3- اختلاف الحلم عن التفكير 17

1-4- مفهوم الكلمة 18

1-5- علاقة اللغة بالحلم والتفكير 19

1-6- التجاوز بالحلم 19

1-7- عوامل وجود مشروع باشلار الفكري 20

1-8- الأفق الفكري العربي 20

1-9- تجربة الخيال 21

1-10- علمنة الأدب 22

1-11- الرؤية المفاهيمية والإبداعية 22

2- المقالة النقدية الثانية: غاستون باشلار والشعراء 24- 30

2-1- غاستون باشلار أستاذ للصور الشعرية 24

2-2- غاستون باشلار ناقد للشعر 25

2-3- قاعدة العناصر الكوسمولوجية 27

2-4- غاستون باشلار و القصيدة 28

2-5- غاستون باشلار مرشد حلمي 29

3- المقالة النقدية الثالثة: الفيلسوف والشاعر 31- 35

3-1- فكر غاستون باشلار 31

3-2- الشعراء والفلاسفة 32

3-3- الزمانية الباشلارية 33
3-4- باشلار والشيخوخة 34
4- المقالة النقدية الرابعة: باشلار والشعراء: حول صورتين للوي غيوم 36- 41
4-1- الصور الأدبية الشعرية عند باشلار 36
4-2- نقد الشعر عند غاستون باشلار 38
4-3- الظاهراتية الباشلارية 40
4-4- شهادات حول باشلار 41
5- المقالة النقدية الخامسة: باشلار عند العرب 42- 48
5-1- غاستون باشلار أستاذا كبيرا 42
5-2- الفكر الباشلاري عند العرب 43
5-3- تعريب باشلار 44
5-4- عمل باشلار 46
5-5- الدياليكتيك الباشلاري 47
6- المقالة النقدية السادسة: التحليل النفسي للنار أو البحث عن حدود جديدة للمنهج الباشلاري .. 48- 53
6-1- أسس النقد الباشلاري 48
6-2- تعارض العلم والقصيدة 49
6-3- التحليل النفسي للنار 49
6-4- النقد الموضوعي الباشلاري 51
6-5- القيمة المعرفية والفكرية لباشلار 52
7- المقالة السابعة: غاستون باشلار: عقلاني رومانسي 54- 59
7-1- الحياة الفكرية الباشلارية 55
- الخاتمة 60
- قائمة المصادر والمراجع 62
- ملحق بقائمة المصادر والمراجع 64
- ملخص باللغة العربية 66
- ملخص باللغةالأجنبية 67
- المشتمل 68

المقالة النقدية الأدبية الأولى

المدخل

بقلم: سعيد بوخليط

المقالة النقدية الأدبية الأولى:

المدخل بقلم: سعيد بوخليط

لقد نوه الباحث المترجم سعيد بوخليط إلى عدة آراء نقدية أدبية خلال مقاله الإفتتاحي وهو عبارة عن مدخل للكتاب تمثلت في:

1- مقاربة العلم بالأدب:

بعقلانية منفتحة، لينة، مرنة وانسيابية جدا، تمكن باشلار من التأسيس لمفهوم جديد للتجربة الإنسانية، من خلال العلم والأدب.

و بإشتغالات نظرية و مفهومية تقوم على الانفتاح والسجال، متجاوزا جميع النزاعات المذهبية التي تقوم على الاختزال والحصر، قارب بين هذين الحقلين المتباعدين وهما العلم والأدب على أسس منهجية واحدة.

حيث لم يتحمل غاستون باشلار تعودنا في الكتب المدرسية ومؤسساتنا العلمية الفروق الهائلة بين المجالين، وكان مطلبه من الفلسفة كما أشار سعيد بوخليط هو زواج كاثوليكي بين العلم والأدب، يقول باشلار" (إن محاور القصيدة والعلم هي أولى متعارضة، كل ما يمكن أن يطمح إليه الفيلسوف هو جعل القصيدة والعلم متكاملان وتوحيدهما كمتعارضين محكمين)"[1].

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو أفق للحلم، دار أبي رقراق، الرباط، 2006، ص119.

2- علاقة الحلم بالعالم:

يتغير العالم في كل لحظة بالحلم، وذلك بتجاوز العلم لذاته دائما، كما أن الحلم يكثف دلالات الأدب، وبأحلامنا نستطيع أن نكون عدد لا نهائي من القراءات، الدلالات والمقاربات.

ويظهر بوخليط هذه العلاقة بطريقة فلسفية تستحق التأمل والخضوع للبحث والقراءة العلمية، حيث يضعنا باشلار أمام ثورة تخيلية لنحاول تطبيقهما قرائيا أو نقديا على كل ما توهمنا تمام فضه، أو استحلاب كل أسراره، فالفلسفة والأدب وكل العلوم قابلة للتجديد والتأمل وإعادة التوليد والتخصيب، وبناء العقول القادرة على إكمال مسيرة الحضارة منطلقة من الحلم.

3- اختلاف الحلم عن الفكر في كل مقاربة لبنية مفهوم العالم المتغير:

وهو جدال وقف عليه الباحث سعيد بوخليط مركزا على أن" الإشكال الذي يطرح في كل مقاربة لبنية مفهوم العالم المتغير هو" الحسم "بالمعنى الإجرائي في قضية الأولية الإبستيمولوجية لشيء اسمه "التفكير" و آخر إسمه "الحلم"[1].

و الإبستيمولوجية مصطلح جديد ولون جديد من الدراسات التي تتخذ المعرفة موضوعا لها، وإن الشيوع الواسع لهذا المصطلح دليل على وجود مشاكل جديدة أو نظرات جديدة إلى مشاكل قديمة تدعو الحاجة إلى جعلها موضوعا لعلم جديد.

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص19.

و"يشتق هذا المصطلح من كلمتين يونانيتين(Epistème) ومعناها "علم" و(Logos) معناها (علم، نقد، نظرية، دراسة).

فالإستيمولوجية من حيث الإشتقاق اللغوي هي: علم العلوم أو الدراسة النقدية للعلوم.

ولهذا تعرف الإبستيمولوجية بأنها صفة جوهرية أي الدراسة النقدية للمبادئ أو الفرضيات أو النتائج الهادفة"[1].

وقد انتهى بوخليط في هذه القضية الفلسفية الباشلارية حول الحلم والفكر إلى أن "الحلم فكر استنفذ فتوته وجدته، والفكر حلم يستبطن باستمرار هواجسه، ولنرجسيته فإنه يتمرأى العالم بشهية"[2]. حيث قرب الحلم والتفكير وأشار إلى أن الحلم بنيه من التفكير.

4- مفهوم الكلمة:

بين المترجم المغربي بوخليط أن غاستون باشلار رأى أن الكلمة فجر وملجأ أمين للصور الشعرية، و " الكلمة لا تؤخذ هنا بمفهومها المادي، ولكن كقيمة ميتافيزيقية تأسيسية"[3].

فالكلمات تحلم وتدعونا إلى تسميتها، حيث تجعل الكلمة من ثنائيات: الوجود/ العدم الجسد/ الروح، الموت/ الحياة... مجرد ممكنات لغوية لا تقف على حيز لأنها تشغل الممكن" مثلا: تصير الموت حياة بخطوة واحدة، والحياة تغدو موتا عند كل سوداوية"[4].

---

[1] محمد الوقيدي: ماهي الإبستمولوجيا؟، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، ط2، 1987، ص15.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص20-21.

[3] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص20.

[4] سعيد بوخليط: غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب، ص20.

5- علاقة اللغة بالحلم والتفكير:

إن اللغة من المنظور الباشلاري مجموعة من مكونات تركيبية، دلالية أكثر منها موضوعية، وهي تقيم مجموعة من الإيحاءات المجازية مما يؤدي إلى تجاوز المنظومة الرمزية للتعاريف القائمة، وبما أن الحلم يقوم على التجاوز والكشف نستطيع إستنتاج أن اللغة تحلم.

وقد أشار الباحث سعيد بوخليط أن " اللغة أداة مرنة، حينئذ التفكير باللغة يكثف من مدلولات العالم، خاصة على مستوى التكلم والتجادل " [1]، و"التفكير باللغة يعني كذلك أننا قد نفكر بنقيض ذلك أي بالصمت"[2].

أكد باشلار في نهاية هذا الجدال الفلسفي أننا نحلم باللغة، ونفكر باللغة وهي علاقة بديهية.

6- التجاوز بالحلم:

"الحلم ليس شرا ميتافيزيقيا كما ظل الاعتقاد لمدة طويلة، وليس بالهلوسة أو المرض النفسي"[3]، وإنما الحلم هو المغايرة و يبتغي الإنسان من خلاله التجاوز ورحيل إلى منفى داخلي عميق، و هذا ليس بسراب أو وهم.

---

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص22.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب، ص22.

[3] سعيد بوخليط: غاستون- باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص23.

فيسعى الشعراء مثلا بالحلم الإستكانة والوصول إلى صور جديدة، ويحلم الفلاسفة أيضا بالانتهاء إلى المفاهيم.

7- عوامل وجود مشروع باشلاريات الفكري:

لقد أشار سعيد بوخليط إلى وجود ثلاث عوامل شكلت لبنة أساسية في رسم مشروعه الفكري وهي:

*الأطروحة المتعلقة بالمكونات المفهومية والنظرية للخطاب النقدي و الأدبي عند غاستون باشلار وارتباطها بالأبعاد الحلمية للعناصر الكوسمولوجية الأربعة: النار/ الأرض/ الهواء/ الماء.

* الوقوف على البنية النظرية واللغوية للنصوص التأسيسية الكبرى التي أسست دعائم الثقافة الإنسانية.

* الاشتغال بالدراسة والفحص لنصوص باشلارية وذلك من خلال جمعها سواء كتابات الفيلسوف الأصلية أو تلك التي جاء بها الباحثون، وتعكس وجهات نظر مختلفة نظرا لتعدد الثقافات واللغات التي ينطلق منها الباحثون.

8- الأفق الفكري العربي:

وضع الباحث سعيد بوخليط الإنسان العربي في خانة الكائنات الهرمة، الشائخة والمترهلة لأنه بعيد كل البعد عن رجل فذ وكبير في فكره وسلوكه كالفيلسوف باشلار،وقد

أعلن ميلادا للتواصل بين فكر غاستون باشلار وفكر القارئ العربي، الذي سيجد فيه عالما رحبا للانفلات إلى الحياة والإبداع.

ويكون ذلك بنفس حالمة وأحاسيس بالفتوة والجدة التي لطالما غابت عن الأفق الفكري العربي." وما أحوجنا في زمان الجنون المعقلن والهستيريا التي تؤجج سرطانية أوثان الواحدية و الدوغمائية، إلى نفس حالم يرسم للإنسانية في كل لحظة منافذ للإنفلات الحي والمبدع"[1].

9- تجربة الخيال:

الخيال هو مقدمة أساسية لضبط القواعد التي يشتغل عليها مشروع باشلار الفكري " فالخيال تجربة جديدة تعيد صياغة التصالح بين الفكر والحلم، وتكشف عن الحلقة التي ظلت مفقودة داخل سيرورة المعرفة الإنسانية"[2].

أكد المتأمل بوخليط أن باشلار أبدع لدى مقاربته لنصوص شعرية وقدرته على تحويل الأشياء والمكونات الكوسمولوجية للعالم إلى خيال.

والمادة اللغوية الإبداعية تأخذ الكائن الحالم داخل أفق فكري وجمالي إنسيابي داخل الخيال.

10- علمنة الأدب:

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص25.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-، ص25.

" تـأرجح باشـلار بـين قطبـي العلـم والأدب، وقـد قـاطـع التجربـة النقديـة الكلاسـيكية أو النزعة العلموية للقرن التاسع عشر فيما يخص الأدب"[1].

فمـع البـدايات الأولـى للقـرن العشـرين وظهـور مفـاهيم سوسـيو ثقافيـة للـنص الأدبـي كالجنون، اللاوعي، الحلم...

وذلك باكتشاف التحليل النفسي تبين باشلار بالملموس قصور المفاهيم السابقة على إيجاد معادل طبيعي لنصوص أدبية تعبر وتكشف عن الأبعاد الداخلية للذات المبدعة.

11- الرؤية المفاهيمية والإبداعية:

إن الرؤيـة المفاهيميـة و الإبداعيـة التـي يريـدها باشـلار كشـف عنهـا الباحـث سـعيد يوخليط وهـي التـي تلامس بشكل أساسـي البنيـة الوجوديـة للإنسـان ويقصـد بـه الكائن الحـالم بامتياز.

" مسـتندا فـي ذلـك مجموعـة مـن الحقـول المعرفيـة مثـل: الرياضـيات، والكيميـاء والقصـيدة والروايـة والنحـت، والفـن التشـكيلي، والأنثروبولوجيـا و الأثنوغرافيـا... وبفكـر تميـز بخصـلتين بيـداغوجيتين أساسـيتين: السـجالية و الانفتاحيـة"[2]، فباشـلار يبحـث دائمـا عن "تأويل عقلانـي قابل للانفلات من ذاته، يحلم باستمرار ويؤمن بالنفي والسلب والتجاوز لأن الاعتقاد واليقينية

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار- نحو نظرية في الأدب-،ص26.

[2] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص27.

قتل للفكر والحياة "[1]. وقد كتب باشلار على مستوى إبستيمولوجيته عن الأدب كتاب كاملا بعنوان شاعرية حلم اليقظة.

[1] سعيد بوخليط: غاستون باشلار– نحو نظرية في الأدب–، ص27.